



آلة الزمن

ه. ج. ويلز



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

الأدب
العالمي
للناشئين

مهرجانات القراءة للجميع

آلة الزمن

آلة الزمن

هـ. ج ويلز

ترجمة: محمد العزب موسى



مهرجان القراءة للجميع ٩٧
مكتبة الأسرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(الأدب العالمي للناشئين)

الجهات المشتركة:	آلة الزمن
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية	ه. ج. ويلز
وزارة الثقافة	ت: محمد العزب موسى
وزارة الإعلام	الغلاف
وزارة التعليم	الإشراف الفنى:
وزارة الإدارة المحلية	للفنان محمود الهندى
المجلس الأعلى للشباب والرياضة	المشرف العام
التنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب	د. سمير سرحان



مقدمة

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقدم فى عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكر فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتنضم إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاث الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكرى والإبداعى والعلمى، وأن مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان وعبقرية الإبداع فى كل زمان.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم . . .

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم
صفحات متألفة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر
القوة في عالم اليوم..
صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا
الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق .

د. سمير سرحان

المؤلف

يعتبر هربرت جورج ويلز من أوائل الكتاب
الانجليز الذين كتبوا روايات أدبية من « الخيال
العلمي » . . . ومن أشهر رواياته العلمية « آلة الزمن »
التي كتبها عام ١٨٩٥ . . . و « الرجل الخفى » التي
كتبها عام ١٨٩٧ . . . و « حرب الكواكب » التي كتبها
عام ١٨٩٨ .

كان « ويلز » من عائلة فقيرة ، تعيش في مقاطعة

«كنت» بانجلترا .. وقد ولد في ٢١ سبتمبر ١٨٦٦ ،
ومات بلندن في ١٣ أغسطس ١٩٤٦ .

وبسبب فقره اضطر لأن يعمل صبيا في متجر
لبيع الأقمشة ، وكان حينذاك في الرابعة عشرة من
عمره .. ثم ترك هذه المهنة التي لا تلائمه في سن
السابعة عشرة ، وعمل مدرسا في مدرسة صغيرة
باحدى القرى .

ولكن طموحه لم يتوقف عند هذا الحد ،
واستطاع أن يحصل على منحة دراسية ساعدته في
الالتحاق بالجامعة ، وقضى في تلك الدراسة ثلاث
سنوات ولكنه لم يوفق في الحصول على الشهادة
الجامعية في دراسة العلوم .. ومع ذلك فقد أشعلت
هذه الدراسة قدرته على الخيال العلمى ، وكانت
مصدر الهام لرواياته الأدبية .

ثم ثابر « هـ.ج. ويلز » على الدراسة العلمية
حتى استطاع الحصول على شهادته الجامعية عن طريق
الانتساب .

وكان هزيل الجسم ويعانى من مرض صدرى ..
وتزوج زواجا غير موفق من سيدة من طبقته الاجتماعية
التواضعة تدعى ((ايزابيل)) .. وعندما تخلص من
هذا الزواج ، تزوج من فتاة شابة أصبحت أما لاثنين
من أبنائه .

التحق ((ويلز)) بعد ذلك بمهنة الصحافة ،
وأصبح من كتاب القصة القصيرة .. وكان أسلوبه
يتميز بالعمق والطرافة والجاذبية الشديدة ..

وذاعت شهرته عندما كتب رواية ((آلة الزمن))
التي تقدمها لك عزيزى القارئ فى هذا الكتاب ..
وكان النجاح الذى حققه فى كتابة هذا النوع من أدب
الخيال العلمى دافعا له على ترك مهنة الصحافة ، بل
وترك المدينة أيضا ليعيش حياة هادئة فى الريف ، تفرغ
فيها لفن الكتابة العلمية والأدبية والاجتماعية
والتاريخية .

وهكذا دخل ((ويلز)) تاريخ الأدب والثقافة من
أوسع أبوابه ، ومن أشهر كتبه التى صدرت تباعا
الكتب والروايات التالية :

- أول رجال على سطح القمر (١٩٠١) وقد ترجمناها لك وقدمناها في هذه السلسلة .
- طعام الآلهة (١٩٠٤) .
- كيبس - ترجمت وقدمت في هذه السلسلة .
- الحرب في الهواء (١٩٠٨) .
- آن فيرونيكا (١٩٠٩) .
- تاريخ مستر بوللي (١٩١٠) .
- مايا فيللي الجديد (١٩١١) .
- الزواج (١٩١٢) .
- العطلة (١٩١٥) .
- روح الطران (١٩١٧) .
- جوان وبيتر (١٩١٨) .
- الكتاب العظيم الشهير : موجز تاريخ العالم (١٩٢٠) .

- شكل الأشياء القادمة (١٩٣٣) .
 - لاعب الكروكيت (١٩٣٦) .
 - الاخوة (١٣٩٧) .
 - الرب المقدس (١٩٣٩) .
 - وعديد من الروايات والقصص القصيرة الأخرى بالإضافة الى الكثير من المقالات والدراسات في التاريخ والاجتماع .
- ((رئيس التحرير))**

(١) الاستهلال

كان « مسافر الزمن » - وسوف نتحدث عنه في هذا الكتاب بصفته تلك لا باسمه - يشرح لنا مسألة عويصة .. كانت عيناه الرمادتيان تلتمعان ، ووجهه المائل للشحوب يتأجج بالحماس .. وكانت النار تتصاعد في المدفأة وضوء المصابيح ينعكس على الشراب في كؤوسنا ، أما المقاعد التي نجلس عليها (والتي هي من اختراع مسافر الزمن نفسه) فكانت مريحة للغاية ، وكنا جالسين بعد أن تناولنا العشاء ، وهي مناسبة تفضل الاسترخاء في الفكر والمناقشة أكثر من الجدية والدقة .

راح مسافر الزمن يفسر لنا الأمر كالتالى :

- عليكم أن تتابعوا ما أقوله جيدا ، فسوف
أحدثكم بأشياء تختلف تماما عن الأفكار التى يتقبلها
الجميع كحقائق مسلم بها ، لقد تعلمتم الرياضة فى
المدرسة وعرفتم كل شىء عن الخطوط والزوايا
والمثلثات وما اشبه .. هذه الرياضة التى تعلمتها
مبنية على فكرة خاطئة .

قاعة فيلبى ذو الشعر الأحمر والمحج للجدل :

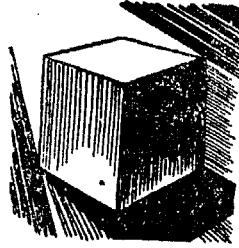
- أنك تتوقع منا الكثير .

- سوف أشرح لكم أسبابى ، وسوف تعترفون
بصحتها على الفور ، أنتم تعرفون أن كلمة « خط »
فى الرياضة هى مجرد اتجاه ، فالخط فى الرياضة
ليست له كثافة ولا حقيقة ، انه ليس شيئا حقيقيا ،
ان الخط يعنى السطح المنبسط ، وهو مجرد فكرة
رياضية .

قال عالم النفس :

- هذا صحيح .

- والآن ، انظروا الى المكعب ، ان له ستة
أوجه ، الطول .. والعرض .. والعمق ، هل يمكن ان
يكون للمكعب وجود حقيقي ؟



المكعب له ستة أوجه

رد فيلبي :

- طبعا ، كل الأشياء الجامدة لها وجود حقيقي .

– انتظر قليلا ، هل يمكن للمكعب الذى ليس له
أى زمن أن يعد شيئا حقيقيا ؟

استغرق فيلبى فى التفكير ، **وواصل مسافر
الزمن :**

– أن الأمر واضح ، أن كل الأشياء الحقيقية
يجب أن يكون لها امتداد ، أى أن تكون لها أربعة
أبعاد ، ثلاثة منها فى الاتجاهات .. الطول والعرض
والعمق ، والبعد الرابع فى الزمن .. ونحن نستطيع
أن نتحرك فى المكان الى الخلف والأمام والجانب ،
ولكننا نتحرك فى الزمن فى اتجاه واحد فقط من البداية
الى نهاية حياتنا ، ولذا فإننا نميل الى اعتبار البعد
الزمنى كأمر مختلف عن الأبعاد المكانية الثلاثة .

**قال الشاب الصغير وهو يحاول أن يشعل
غليونه :**

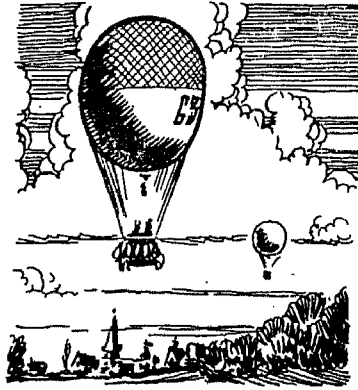
– أجل .. هذا واضح تماما .. حتى الآن .
– ومع ذلك ليس هناك فارق حقيقى بين هذه
الأبعاد الزمانية الثلاثة وبين البعد الزمنى .

قال الطيب :

– ولكن ، اذا لم يكن هناك فارق كما تقول ،
فلماذا لا نستطيع أن نتحرك في البعد الزمنى الى
الوراء والى الامام ، كما نتحرك فى المكان ؟

ابتسم مسافر الزمن وقال :

– هل أنت متأكد أن فى قدرتنا ان نتحرك فى



البالون

المكان بحرية كما نشاء ؟ اننا نستطيع أن نتحرك يمينا أو يسارا ، الى الخلف وإلى الأمام ، ولكن هل نستطيع أن نتحرك الى أعلى وأسفل ؟

– هناك البالونات (*) .

– اقصد قبل اختراع البالون ، باستثناء القفز الى أعلى والتسلق ، ليس في مقدور الانسان أن يتحرك الى أعلى وأسفل .

قال الطبيب :

– في مقدورنا أن نتحرك قليلا ، والحركة الى أسفل أسهل من الحركة الى أعلى ، ولكن لن يمكنك أن تتحرك اطلاقا من الزمن ، أى لا يمكنك التحرك من اللحظة الراهنة .

قال مسافر الزمن :

كلا يا سيدى ، هذا هو الخطأ من الميلاد

(★) لاحظ أن هذه القصة كتبت قبل اختراع الطائرة

والصاروخ .

الى الوفاة نحن نتحرك في الزمن ، كما يمكننا أن نتحرك الى أسفل اذا بدأنا وجودنا من ارتفاع خمسين ميلا مثلا فوق سطح الأرض .

قال عالم النفس :

– ولكن في امكانك أن تتحرك في كل الاتجاهات في المكان ولا يمكنك أن تتحرك في الزمان .

– انت مخطيء . . اذا تذكرت شيئا في غاية الوضوح فاننى أرجع في الزمن الى اللحظة التى حدث فيها هذا الشيء ، وبالطبع لا يمكننا البقاء في اللحظة التى تراجعنا اليها أى وقت ، كما لا يمكن لحيوان أن يظل مرتفعا في الهواء ستة أقدام فوق سطح الأرض ، ان الانسان يمكنه أن يمكث ما يشاء في البالون فلماذا لا نأمل أن يكون في مكانه أن يتوقف في اللحظة الزمنية أو يسرع في الزمن القادم ، أو يدور القهقري ويسافر في الزمن الماضى ؟

قال فيلبي :

– أوه .. هذا ضد العقل ، لن يمكنك أن
تقنعنى بذلك .

قال مسافر الزمن :

– منذ وقت طويل جاءتنى فكرة اختراع آلة
في مقدورها أن تسافر فى أى اتجاه أو بعد فى المكان
أو الزمان .

ضحك فيلبي ، وواصل مسافر الزمن :

– وقمت بتجربة بالفعل ، وتأكدت من صحة
فكرتى .

فقال عالم النفس مبتسما :

– سيكون هذا الاختراع مفيدا جدا للمؤرخ ،
سيكون فى إمكانه مثلا أن يسافر الى الماضى ويرى
ما حدث حقيقة فى معركة ما .

وقال الشاب :

– وبممكنك أن تسافر الى الماضى وتسمع كيف

كان الاغريق القدامى ينطقون الاغريقية ، أو أن تفرض
نقودك الى بنك ثم ترجع عائدا الى الحاضر وتصرف
الفائدة .

قال عالم النفس :

– هذا محض خيال !

صحت :

– التجربة .. عليك ان تطلعنا على هذا
التجربة !

قال عالم النفس :

– نعم عليك أن تجربنا تجربتك رغم أننا نعلم أن
هذا هراء في هراء .

أخذ مسافر الزمن يتأمل فينا مبتسما ثم قام
وهو لا يزال يبتسم ووضع يديه في جيوبه وسار
ببطء الى خارج الغرفة ، وسمعنا وقع خطاه في الممر
الطويل المؤدى الى منعله .

نظر الينا عالم النفس وقال :

- اننى اتمجب ماذا سيحضر لنا ؟ .

قال الطبيب :

- خدعة ما . .

واخذ فيلبى يحكى لنا عن رجل شاهده
المسرح يودى الاعيب « سحرية » ، ولكن قبل ان ين
من كلامه عاد مسافر الزمن .

(٢) التجربة

دخل مسافر الزمن الغرفة وهو يحمل في يده
را معدنيا لامعا في حجم ساعة حائط صغيرة
صنوعة بركة فائقة .

والآن سأحكى بدقة بالقة ما حدث : من المستحيل
اما أن تفسر ما حدث ما لم تقبل (بالطبع)
سيرات مسافر الزمن . . وجدناه يأخذ احدى الموائد
صغيرة المتناثرة في أرجاء الغرفة ويضعها أمام
دفاة ، ثم وضع فوقها الآلة ، كان ضوء المصباح
(مع يضم الآلة ، وكانت هناك حوالى اثنتى عشرة

شمعة تحترق . . اثنتان على الرف فوق المدفأة
والأخريات في شمعدانات مثبتة في الجائط ، وهكذا
كانت الغرفة مضاءه اضاءة جيدة .

جلست على كرسي فوتيل منخفض بالقرب من
النار ، وجذبت الكرسي الى الأمام حتى أصبحت بين
مسافر الزمن والمدفأة ، وكان فيلبي ذو الشعر
الأحمر والمحب للجدل يجلس خلفي ينظر من فوق
كتفى ، والطبيب يراقب ما يحدث من الزاوية اليمنى
وعالم النفس ينظر من الناحية اليسرى ، وكنا جميعا
متيقظين تماما ، ولا أعتقد أن نخدعة ما مهما كانت
بارعة يمكن أن تنطلي علينا في هذه الظروف .

أخذ مسافر الزمن ينظر الينا ثم نظر الى الآلة .

وقال عالم النفس :

- حسنا ؟

أراح مسافر الزمن ذراعيه فوق المائدة وعقد
يديه معا فوق الآلة .



هذا نموذج صغير لآلة الزمن

وبدا يقول :

– هذا مجرد نموذج صغير للآلة الكبيرة التي أقوم بصنعها ، انه فكرة وضعتها عن آلة تقوم بالسفر عبر الزمن ، تلاحظون انه ليس مربعا كاملا وهذا العمود له لمعان غريب .

وأشار الى ذلك الجزء بأصبعه ومضى يقول :

– وتلاحظون أيضا أن ثمة مقبضا أبيض صغيرا هنا ، وهنا مقبض آخر .

قام الطبيب من مقعده وألقى على الاختراع نظرة فاحصة . وقال :

– انه جميل الصنع .

ود مسافر الزمن :

– لقد قضيت في صنعه عامين كاملين .

وبعد أن قمنا جميعا وفحصنا الجهاز بدقة
كما فعل الطبيب ، قال مسافر الزمن :

- والآن أريد منكم أن تستوعبوا ما أقول
بوضوح ، عندما أدير هذا القبض تندفع آلة الزمن
في المستقبل ، اما هذا القبض فهو يعكس الاتجاه
ويدفع الآلة في الاتجاه المقابل ، وهذا هو مقعد
المسافر ، في لحظات سوف أدير هذا القبض ، وعندئذ
تختفى الآلة ! سوف تندفع في زمن المستقبل ولن
ترونها فيما بعد ، انظروا جيدا الى هذا الشيء ،
وانظروا الى المائدة أيضا ، وتأكدوا انه ليست هناك
خدمة ما ، لست أريد أن أفقد هذا النموذج ثم يقال
بعد ذلك اننى غشاش .

سادت لحظة من الصمت ، وبدا لى كأن عالم
النفس يوشك أن يتكلم ثم غير رأيه والتزم السكوت .
وعندئذ وضع مسافر الزمن أصبعه تجاه
القبض ، ثم قال فجأة :

- كلا ، فليقم أحدكم بذلك .

والتفت الى عالم النفس وأمسك بيده وطلب
منه أن يضع أصبعه فوق القبض ، وهكذا كان عالم

النفس هو الذى أطلق نموذج آلة الزمن فى رحلته
اللانهاية ، رأينا جميعا القبض وهو يتحرك ، اننى
متأكد تماما من انه لم يكن هناك خدعة ما ، أحسنا
بلفحة هواء ، تراقصت بسببها شعلة المصباح وانطفأت
احدى الشموع ، وفجأة دارت الآلة الصغيرة وتضاءلت
ثم اختفت تماما من فوق المائدة التى لم يعد فوقها
سوى المصباح .

ظل الجميع صامتين لمدة دقيقة ، ثم قال
فيلبي :

– حسنا ، أنا مندهش تماما .

وأفاق عالم النفس من دهشته ، ونظر تحت
المائدة ، بينما كان مسافر الزمن يضحك بابتهاج ،
ثم قال لعالم النفس :

– ما رأيك ؟

وقام من جلسته ، وذهب الى صندوق الطباقي
فوق الرف ، وعاد اليها وهو ينفث دخان غليونه .

نظرنا صامتين بعضنا الى بعض ، وقال
الطبيب :

– اسمعوا ! هل تصدقون ذلك حقا ؟ هل
تعتقدون ان الآلة سافرت في الزمن ؟

قال مسافر الزمن وهو ينحنى ويشعل غليونه :
– بالتأكيد انى أقصد ذلك .

ثم نظر الى وجه عالم النفس ، ويبدو أن عالم
النفس أراد أن يثبت انه يسيطر على نفسه جيدا ،
فقام وأخذ سيجار وحاول أن يشعله ولكنه نسي
أن يقطع طرفه الأسفل .

وقال مسافر الزمن :

– بالتأكيد أنا أقصد ذلك ، وقد قمت بصنع
آلة كبيرة كدت انتهى منها هناك (وأشار ناحية المعمل)
وعندما يتم تجميعها نهائيا انوى أن أقوم برحلة فيها !

سال فيلبي :

- هل تقصد أن تقول ان الآلة سافرت في المستقبل ؟

- لقد سافرت في المستقبل أو الماضي لست متأكدا من الاتجاه .

وبعد قليل قال عالم النفس وكأنه قد وقع على فكرة ذكية :

- لا بد أنها انطلقت في الماضي اذا كانت قد ذهبت الى أى مكان .

سال مسافر الزمن :

- لماذا ؟

- أفهم أنها لم تتحرك في الفضاء ، والآن هذه اللحظة التي نحن فيها كانت زمنا قادمًا عندما تحركت الآلة ، واذا كانت قد سافرت في المستقبل لكننا قد رأيناها الآن .

قلت :

– ولكن .. عندما جئنا الى هذه الغرفة هذا المساء كنا في زمن ماض ، وعندما كنا هنا يوم الخميس الماضي كان الزمن ماضيا ، فاذا كانت الآلة قد سافرت في الماضي لكنا قد رأيناها الآن .

قال فيلبي :

– تمام .. ان الأمر بحاجة الى تفسير !

قال مسافر الزمن موجها حديثه الى عالم النفس :

– يمكنك ان تفسر ذلك .. ان الأمر سهل جدا .

قال عالم النفس :

– بالتأكيد .. نحن لا نستطيع ان نرى الآلة كما لا نستطيع ان نرى عجلة تدور بسرعة فائقة او رصاصة بندقية تنطلق في الجو ، انها تنطلق في

الزمن أسرع خمسين مرة من قدرتنا على المتابعة ، أى
أنها تقطع فيما نظنه ثانية واحدة مقدار دقيقة كاملة ،
أنها تسافر بأسرع مما يمكننا أن نلاحقه .

وأشاح بيده فى الفضاء الذى كانت فيه الآلة
وقال ضاحكا :

— ها أنتم ترون ما حدث !

جلسنا نحقق فى المائدة الفارغة دقيقة
أو دقيقتين ، ثم **سالنا مسافر الزمن :**

— حسنا ، ماذا تظنون فيما رأيتم ؟

قال الطبيب :

— يبدو الأمر حقا هذه الليلة ، ولكن انتظر الى
الصباح ، انتظر الى ادراك الصباح .

بعد قليل سالنا مسافر الزمن :

— هل تودون أن تتروا آلة الزمن بانفسكم ،
اقصد الآلة ذات الحجم الكامل .. ؟

وأمسك بالمصباح وقاد خطانا في السرداب الطويل
البارد المؤدى الى معمله .. وأذكر بوضوح تام هالة
الضوء المرتعشة ورأسه العريضة الغريبة وهى تبدو
كشكل أسود ، وراء تلك الآلة ، وتراقص الظلال من
حولنا ، تبعناه حائرين غير مصدقين الى غرفة العمل
وهناك شاهدنا آلة كبيرة تشبه الآلة التى رأيناها
تختفى أمام عيوننا ، كانت تامة تقريبا فيما عدا بعض
القضبان المعوجة تستقر غير منتهية على المائدة
بالقرب من بعض الصفحات التى عليها رسوم ، فأخذت
واحدا من تلك القضبان لأفحصه بامعان .

قال الطبيب :

— هل أنت جاد حقا ؟ أم ترى تلك خدعة
أخرى كذلك الشيخ الذى أرينا إياه فى عيد الميلاد
السابق ؟

رفع مسافر الزمن المصباح فى يده وقال :

– اننى انوى السفر بنفسى فى هذه الآلة .. هل
هذا واضح ؟ اننى جاد تماما هذه المرة .

ظللنا صامتين حائرين لا نستطيع ان نقول شيئا ،
ولحت عين فيلبى من فوق كتف الطبيب وهو يغمز لى
فى هدوء .

(٣) عودة « مسافر الزمن »

اعتقد انه حتى ذلك الحين لم يكن أحد منا يصدق حكاية آلة الزمن ، فان مسافر الزمن كان من هؤلاء الرجال الذين يبلغون درجة من المهارة تجعلهم غير جديرين بالتصديق ، فانت دائما تشك أن هناك شيئاً يخفيه خلفه أو هناك خدعة ماهرة تكمن وراء تفسيراته الواضحة الصريحة .

إذا كان فيلبي مثلاً هو الذي أرانا نموذج آلة الزمن وشرح لنا كيف تعمل بنفس كلمات مسافر الزمن ، لكننا أكثر استعداداً لتصديقه ، لأننا نثق في

أغراضه ، إذ أن من السهل جدا أن تفهم فيلبي ،
أما مسافر الزمن فانه غريب مريب ونحن لا نثق فيه . .
والأشياء التي يمكن أن تجعل من الناس العاديين مشاهير
تبدو بمثابة خدع بين يديه ، أن من الخطأ أن تفعل
الأشياء بسهولة مطلقة ، فالناس الجادون الذين
يرون في عمله امتيازا لا يثقون تمام الثقة في سلوكه ،
ويشعرون أن منحه ثقته التامة أشبه بمنح الثقة
لأطفال ينقلون كمية من صحن الصيني الرقيقة .

اعتقد اننا لم نتكلم كثيرا عن هذا الأمر بين ذلك
الخميس ويوم الخميس التالي ، ومع ذلك فإن ما حدث
لم يغب عن أذهاننا وإن كان من الصعب أن نصدق
أو نصدق ما يوحى به من خيالات غريبة ، أنا شخصيا
كنت مهتما بخدعة تجربة النموذج ، وأذكر أنني ناقشت
الأمر مع فيلبي عندما التقيت به في النادي يوم الجمعة،
وقال لي انه شاهد شيئا يشبه ذلك في توبنجن ،
وأضاف أن انطفاء الشمعة يبدو هاما ، ولكنه لم
يستطيع أن يفسر كيف سارت الخدعة .

وفى يوم الخميس التالى ذهبت الى منزل مسافر
الزمن فى ريتشموند ، اعتقد اننى من أكثر ضيوف
مسافر الزمن انتظاما فى زيارته ، ووصلت متأخرا ،
كان الطبيب يجلس امام النار المنبعثة من المدفأة وفى
احدى يديه قطعة من الورق وساعته فى اليد الأخرى .

اخدت اجول بعينى باحثا عن مسافر الزمن فلم
أعثر له على اثر . **وقال الطبيب :**

– ان الساعة الآن الساعة والنصف ، اعتقد
ان من الأفضل تناول العشاء .

سالت :

– أين مضيغنا ؟

– هل جئت حالا . . ؟

– اجل .

قال الطبيب :

– انه لشيء غريب ، انه يقول انه قد يتأخر ،
وترك لنا هذه الورقة يطلب فيها أن نتناول عشاءنا

في الساعة السابعة اذا لم يعد حتى ذلك الحين ،
ويضيف سأشرح لكم الأمر حين اعود .

**وقال رئيس تحرير احدى الصحف اليومية
المعروفة :**

- خسارة أن نترك طعام العشاء يفسد .
- وقرع الطبيب الجرس مناديا الخادم .

كنا نحن الثلاثة فقط ، انا وعالم النفس
والطبيب ، الذين حضرنا عشاء الخميس الماضي ،
أما الآخرون فهم مستر بلانك (رئيس التحرير)
وضحفي شاب ، ورجل هادئ له لحية ، لا اعرف من
هو ولم أرد يفتح فمه ليتحدث طيلة الليلة .

وعلى مائدة العشاء اخذنا نتساءل ونتعجب لغياب
مسافر الزمن ، قلت ضاحكا لعل الأمر يتعلق بمسألة
السفر في الزمن . . فبدت الدهشة على رئيس التحرير
وطلب أن نشرح له الأمر ، فأخذ عالم النفس يحكي
بطريقة شوهاء عن « الخدعة الذكية » التي رأيناها
يوم الخميس الماضي .

وفيما هو في منتصف حكايته انفتح باب الممر
ببطء دون ضجة وكنت أنا أول من شاهده لاننى
أجلس فى قبالة الباب .

قلت :

— هاللو .. أخيرا !

ازدادت فتحة الباب اتساعا ، ووقف مسافر
الزمن أمامنا ندت عنى صيحة دهشة ، ولم يلبث أن
راه الطبيب وصاح :

— يا للسماء ! ما الأمر ؟

اتجهت وجوه جميع الرجال الجالسين الى
المائدة نحو الباب .

كان مسافر الزمن فى حالة مزرية ، معطفه مترب
متسخ واكمامه مغطاة بشيء كالنجيل الأخضر ، وشعره
منكوش وبدا لى أكثر شيئا مما كان عليه ، سواء
بسبب التراب والقدارة أو ربما لونه قد راح حقا ،
وكان وجهه فى شدة الشحوب وثمة جرح فى ذقنه

كاد يجف ، وتدل تقاطيع وجهه على معاناة شديدة . .
وظل واقفا لمدة دقيقة في مدخل الباب كأن عينيه
يؤذيهما النور ، ثم دخل الى الغرفة وسار يجر رجليه
كما يفعل الشحاذون .

حملنا فيه صامتين في انتظار أن يتكلم ، ولكنه
لم ينطق بكلمة ، وسار الى المائدة وأشار الى
الشراب ، فقام رئيس التحرير بملء قدح له وقدمه
اليه ، جرعة الرجل في رشفة واحدة وبدا عليه بعض
الارتياح ، ونظر حول المائدة وطاف على شفثيه
شبح ابتسامته المعهودة .

قال الطبيب :

— ماذا حدث لك بحق السماء ؟

بدا مسافر الزمن كأن لم يسمع ، ثم قال في
بطء وصعوبة :

— أرجو أن لا أكون قد ازعجتكم ، انى بخير . .!
ثم توقف عن الكلام ومد يده بالقدح لمزيد من

الشراب ، ورشف الشراب ، فصارت عيناه أكثر التماعا وعلت خديه حمرة خفيفة ، ونظر في وجوهنا ، ثم تحدث مرة أخرى وهو لا يزال يتلمس خطواته بين الكلمات .

قَالَ :

— سأذهب لاغتسل وارتندي ملابسى ، ثم آتى اليكم لأشرح الأمر .. أريد بعضا من هذا اللحم اننى مشتاق لقطعة من اللحم .

ونظر الى رئيس التحرير قائلا :

— نادرا ما تزورنا .. أرجو أن تكون على ما يرام .

بدا على رئيس التحرير كأنه يود أن يلقى سؤالا ، وقال مسافر الزمن :

— سوف أخبركم حالا بكل ما تودون أن تسمعه، اننى أشعر بكونى غريبا ، ولكنى سأكون على ما يرام حالا .

وضع قدحه على المائدة وسار تجاه الباب المؤدى الى السلم ، لاحظت مرة اخرى انه يمشى بالتم وصعوبة ، وسمعت وقع خطواته الخفيفة وهو يتعد ، وقفت فى مكانى فرأيت قدميه وهو يسير . . لم يكن يرتدى حذاء وكان جوربه ممزقا وملوثا بالدماء ، ورأيت الباب يفلق وراءه .

فكرت أن أتبعه ، ثم تذكرت انه يكره أن يبدى أحد قلقا عليه أو يحاول أن يساعده .

وعاد ذهنى مرة أخرى الى المائدة عندما سمعت رئيس التحرير يهمس لنفسه :

— يا له من سلوك غريب عن عالم كبير .

كان يفكر كالعادة فى المانشيت الذى يضعه بحروف كبيرة على صدر صحيفته .

وسال الصحفى الشاب :

— ما الخبر ؟ انه يبدو كشحاذ . انى لا أفهم

شيئا !

التقيت بنظرات عالم النفس ، فرأيت أن تفسيره هو نفس تفسيري ، ورحت أفكر في مسافر الزمن وهو يجر قدميه بألم فوق السلم ، لا اعتقد أن أحدا آخر شاهد قدميه .

كان الطبيب هو أول من أفاق تماما من الدهشة، وقرع الجرس للخادم وأمره باحضار صحن ساخن (كان مسافر الزمن يكره وجود الخدم في الغرفة اثناء العشاء) .

تناول رئيس التحرير السكين والشوكة وبدأ يأكل ، وكذلك فعل الرجل الصامت ، وانخرط الجميع في الأكل ، وظلت المحادثة بيننا مجرد كلمات تعجب تتلوها فترات من الصمت ، وكل منا يفكر فيما يكون قد حدث ، وأخيرا لم يستطع رئيس التحرير أن يتغلب على دهشته ، فسأل :

— ترى هل اعتاد صديقنا أن يعمل كناسا في الشارع .. أم تراه قد تعود أن يأكل العشب في الحقول ؟

قلت :

— انا متأكد تماما ان الأمر يتعلق بألة الزمن !
ثم واصلت ما كان يحكيه عالم النفس عما حدث
في اجتماع يوم الخميس الماضي ، ولكن الضيوف
الجدد لم يصدقوا القصة ، واعترفوا بذلك .

وقال رئيس التحرير متسائلا :

— ماذا هو السفر في الزمن ؟ هل يمكن الانسان
ان يغطي نفسه بالتراب بالتفكير في فكرة رياضية ؟
ثم بدا ينظر للأمر من زاوية فكهة ، فقال :
— ترى هل ليس لديهم فرشاة ملابس في
المستقبل ؟

أما الصحفي الشاب فبدأ عليه عدم الاقتناع
التام بالقصة كلها ، وشارك رئيس التحرير في
الضحك من الأمر . . كان الاثنان من النوع الجديد من
الصحفيين ، هؤلاء الشبان الفكهون الذين ليس لديهم
احترام لأى شيء .

* * *

أخذ الصحفي يقول ، بل يصيح :

من مراسلنا الخاص في ما بعد غد .

وعندما عاد مسافر الزمن كان يرتدى ملابس
المساء المعتادة ، ولكن تعبير وجهه ظل متغيرا كما كان ،
مما أشعرنى بالقلق .

قال رئيس التحرير ضاحكا :

— أقول . . هؤلاء زملاء يقولون انك كنت
مسافرا في منتصف الأسبوع القادم ، اخبرنى ماذا
ستفل الحكومة عندئذ ؟ هل لك أن تخبرنى ؟ وكم
تريد ثمننا للقصة بأكملها ؟

اتخذ مسافر الزمن مقعده على المائدة دون أن
ينطق بكلمة ، ثم ابتسم بهدوء كعادته القديمة
وقال :

— أين قطعة اللحم التى طلبتها ، ما الذى أن ترشق
الشوكة فى اللحم مرة أخرى .

صاح رئيس التحرير :

– الينا بالقصة من فضلك !

قال مسافر الزمن :

– اريد اولاً أن آكل شيئاً .. لن اقول كلمة
واحدة قبل ان التهم بعض اللحم .. شكراً .. الى
بالمح .

قلت :

– اريد كلمة واحدة فقط .. هل كنت مسافراً
في الزمن .

**أوما مسافر الزمن وهو يلوك قطعة كبيرة من
اللحم في فمه :**

– اجل !

قال رئيس التحرير :

– سوف أعطيك شلنا لكل سطر من القصة .

دفع مسافر الزمن بكأسه ناحية الرجل الصامت
وطرق عليه بظفره ، فتوقف الرجل الصامت عن
الحملقة في وجه مسافر الزمن وقفز من مقعده وملاً
له الكأس بالنيبيذ ، واستمر التوتر طيلة العشاء . .
الأسئلة المفاجئة تكاد تقفز بين شفتي ، وأتوقع أن كان
كل الحاضرين في نفس هذه الحالة ، وحاول الصحفي
الشاب أن يخفف من التوتر ببعض الحكايات الفكهة ،
أما مسافر الزمن فقد كان يركز كل اهتمامه في الأكل
ويلتهم الطعام كالإنسان الفجع ، وأشمل الطبيب
سيجارة وأخذ يراقب مسافر الزمن بهدوء ، واستمر
الرجل الصامت يبدو أحمق كالمعتاد ولم يتوقف عن
شرب النيبيذ .

وأخيراً ، أزاح مسافر الزمن الطبق من أمامه ،
ونظر نحونا ، ونحن نجلس حوله ، وقال :

— أود أولاً أن اعتذر عن تصرفي ، لقد كنت في
حاجة ماسة إلى الطعام ، لقد قضيت وقتاً مشيراً
للغاية .

ومد يده فأخذ سيجارا وقطع طرفه الأسفل
وقال :

– هيا بنا الى غرفة التدخين .. انها قصة
طويلة .

وتقدمنا الى غرفة التدخين وهو يقرع الجرس
لمناداة الخادم .

ثم جلس على كرسيه الفوتيل وسألنى وهو
يشير الى الضيوف الثلاثة :

– هل أخبرت السادة عن آلة الزمن ؟

قال رئيس التحير على الفور :

– انها خدعة رياضية .. مجرد فكرة .

* * *

قال مسافر الزمن :

– لا أود أن أدخل فى جدل هذه الليلة ..
لا مانع أن أخبركم بالقصة ، ولكنى لا أريد أن أتجادل ،

سأخبركم بقصة ما حدث لى ، اذا أردتم ، ولكن عليكم ان لا تقاطعونى بالأسئلة ، اريد فقط أن أخبركم بما حدث ، بل اريد ذلك جدا ، ان معظم ما سوف أقوله سوف يبدو لكم كأكاذيب ، ولكنها الحقيقة التامة ، كل كلمة فيها صادقة .. لقد كنت فى غرفة المكتب فى الساعة الرابعة ، ومنذ ذلك الحين عشت ثمانية أيام .. أيام لم يشهدا أحد مطلقا من قبل ! اننى متعب للغاية الآن ، ولكنى لن أنام قبل ان أحكى لكم ما حدث ، وبعدئذ سأوى الى فراشى ، ولكن أرجوكم عدم الأسئلة .. هل اتفقنا ؟

قال رئيس التحرير ونحن نؤيده :

— اتفقنا !

بدأ مسافر الزمن يحكى القصة كمل كتبها هنا ، كان يجلس فى كرسيه وبدأ يتحدث أولا كرجل منك بالتعب ، وبعد ذلك دبت فيه الحيوية ، ان قلمى وحبرى يعجزان عن تدوين القصة ، كما اعجز أنا ككاتب عن إبراز محتواها . اننى افترض انك تقرأ

الكتاب بامعان واهتمام ، ولكنك لا تستطيع أن ترى وجه المتحدث الأبيض الصادق في دائرة الضوء التي يلقيها المصباح الصغير أو تسمع نبرات صوته ، ولا تستطيع أن تعرف كيف كانت تعبيرات وجهه وهو يحكى ما حدث ، معظمنا نحن السامعين كنا في الظل لأن الشموع في غرفة التدخين لم تكن مشعلة ، وكان لا يبدو في الضوء سوى وجه الصحفي الشاب وقدمى الرجل الصامت .. في البداية كنا نعاود النظر بعضنا الى بعض بين الحين والآخر ، ولكننا لم نلبث أن توقفنا عن ذلك ، وركزنا نظراتنا على وجه مسافر الزمن .

(٤) عام ١٧٠١م ١٨٠٢

هذه قصة ما حدث على لسان مسافر الزمن :

شرحت لكم يوم الخميس الماضى المبادئ التى تسير عليها آلة الزمن ، وأريتكم الآلة ذاتها فى المعمل قبل أن تتم ، انها موجودة هناك مرة أخرى الآن ، ولكنها ابلت بالسفر ، أحد الواحها الخشبية مشروخ ، وأحد عمداتها المعدنية ملتو ، ولكن الباقى لا بأس به .

كنت أتوقع أن انتهى من العمل فيها يوم الجمعة ، ولكنى بعد أن انتهيت تقريبا يوم الجمعة وجدت أن

أحد العمدان المعدنية فيها أقصر بمقدار بوصة واحدة ، وكان على أن أصنع عمودا جديدا ، ولذا لم تعد الآلة جاهزة للعمل حتى صباح هذا اليوم .

وفي الساعة العاشرة هذا الصباح بدأت أولى آلات الزمن رحلتها الأولى ، قمت أولا باختبار كل أجزائها وتأكدت من تثبيت كل مسمار فيها ، ثم جلست على المقعد ، أتدركون مشاعر إنسان يمسك مسدسا ويصعوبه على رأسه ليقتل نفسه ، أعتقد أنه سوف يستبد به الفضول لمعرفة ما سوف يحدث ، نفس هذا الفضول ممتزجا بالخوف والقلق أستبد بي وأنا ممسك بالمقبض في يدي .

أمسكت بمقبض التشغيل في يد ، ومقبض الإيقاف في اليد الأخرى ، وأدريت المقبض الأول ثم أدريت الآخر في ثانية واحدة ، احتواني الشعور المخيف الذي يشعر به إنسان يسقط من جبل في حلم مزعج ، نظرت حولي فوجدت العمل كما هو ، هل يا ترى قد حدث شيء ؟ ظننت أولا أن ذهني خدعني ،

ثم نظرت الى الساعة المعلقة على الحائط . . خيل لي
انها كانت منذ دقيقة واحدة تشير الى العاشرة تماما
أما الآن فان عقاربها تقف على الثالثة والنصف .

أخذت شهيقا كبيرا ، وضغطت على اسناني ،
وامسكت بمقبض التشغيل بيدي الاثنتين ، واندفعت
الى الامام . . أصبح المعمل في نظري يملؤه الضباب
ثم جاء الظلام ، وشعرت بسيدة المنزل مسز واتشيت
تدخل وتخرج مسرعة دون أن ترانى ، أتصور أن
دخولها وخروجها مرة أخرى الى الحديقة استغرق
حوالى دقيقة ، ولكنها بدت لى كأنها اخترقت الغرفة
مثل سائقة رصاصة .

أدرت مقبض الآلة الى أبعد ما يمكن أن يذهب .
فجاء الليل كأنه انطفاء مصباح ، وبعد دقيقة جاء
النهار التالى ، وأصبح المعمل خافتا مضنبا ثم ازداد
خفوتا وضبابا ، وجاء ليل اليوم التالى وتلاه النهار

ثم الليل مرة أخرى ، فالنهار الذي يليه ، بسرعة
فائقة ، وكانت ثمة همهمات ترتفع ثم تخمد تملأ أذنى ،
واضطرب ذهنى .

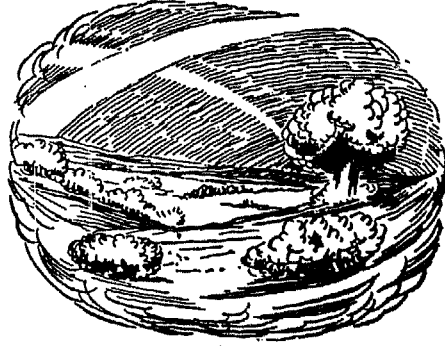
آسف اننى لا أستطيع أن أصف لكم بالدقة
مشاعر من يسافر فى الزمن ، انها مشاعر غير محببة ،
تشبه مشاعر من يهبط مندقعا على سطح جبل دون
أن يستطيع التحكم فى اندفاعه ، مشاعر السقوط
العاجز ، كما شعرت بخوف من يتوقع صدمة مفاجئة ،
وعندما زدت من السرعة تعاقب الليل والنهار كضربات
جناح طائر أسود .

وبدا منظر المعمل المظلم يتلاشى أمام عيني ورأيت
الشمس تقفز بسرعة فى السماء كل دقيقة ، أى أن
كل دقيقة تماثل يوما كاملا ، اتصور أن المعمل قد
تهدم وأصبحت فى الجو المكشوف ، وخيل الى ان ثمة
مبانى ترتفع من حولى ، ولكنى كنت أسرع مما يمكننى
أن أتحقق من أية حركة ، هذا التتابع السريع من
الظلام والضوء ، والظلام والضوء كالسينما السيئة

كان مؤلماً لعيني ، ثم رأيت في ومضات الظلام القمر وهو يمر عبر مراحل المختلفة من الهلال الى البدر ثم المحاق ، كما رأيت النجوم كأنها دوائر من الضوء .

ومع المزيد من السرعة تحول تعاقب الليل والنهار الى مساحة رمادية مستمرة ، واكتسبت السماء لونا أزرق رائعا كلون ساعة الغروب ، وبدلاً من أن تقفز الشمس في السماء كما كانت تفعل تحولت الى خط من النار يشبه البوابة اللامعة ، وتحول القمر الى شريط باهت ، ولم أجد أرى النجوم فيما عدا بعض دوائر زرقاء لامعة تظهر بين الحين والحين .

كانت الأرض من حولي يكلها الضباب وعدم الوضوح ، كنت لا أزال على جانب التل الذي يقوم عليه هذا المنزل ، وكثف التل يرتفع فوق رماديا معتماً ، ورأيت الأشجار تنمو وتتغير كأنها نفخات من الدخان وتتحول من اللون الأخضر الى الرمادي ، تنمو



ورأيت الأشجار مغلقة بالدخان

وتنتشر ثم تهتز وتختفي ، ورأيت مبان هائلة ترتفع
شاحبة ثم تمضي كالحلم ، وخيل الى كأن وجه
الأرض كله يتغير وهو يدوب ويطوف أمام عيني ورأيت
عقارب السرعة في الآلة تدور أكثر وأكثر ، ثم رأيت
حزام الشمس يتحرك الى أعلى وأسفل من وضع
الشتاء الى وضع الصيف في أقل من دقيقة ، فعلمت

إن سرعتى أكثر من عام كامل فى الدقيقة ، وخلال دقائق قليلة اندفع غطاء من الثلج فوق الصالم ثم اختفى وأعقبه لون ربيعى أخضر لامع .



تحسنت الآن المشاعر السيئة التى احسست بها فى البداية ، وتحولت الى نوع من الاثارة المجنونة ، ولاحظت أن الآلة تترنح من جانب الى جانب ولم أستطع أن أفسر لماذا تفعل ذلك ، فقد كان ذهنى من الاضطراب بحيث لا يمكنه التفسير ، وبنوع من الجنون المتنامى داخل القيت بنفسى فى المستقبل ، فى أول الأمر لم أكن أفكر فى التوقف ، كان كل ما يهمنى الاندفاع الى الأمام ، ثم جاءت الى ذهنى مشاعر جديدة . . مشاعر من الفضول المتزج بالخوف ، ثم استولى على الخوف والفضول تماما ، وفكرت فى نفسى : ترى كيف تطور الانسان فى هذا المستقبل الذى وصلت اليه ! ترى ما هى الانجازات الرائعة

التي حققها ! ترى ماذا سارى اذا توقفت في هذا العالم الذى يتسابق ويتغير أمام عيني ؟

رايت مبان عظيمة شاهقة ترتفع امامى ، أضخم من أى مبنى فى زمننا ، ومع ذلك تبدو كأنها مبنية من الومضات والضباب ، ورايت بساطا من السنندس الأخضر ينسبط على جانب التل ويبقى مكانه دون تغيرات شتوية ، وحتى بالرغم من غلالة الاضطراب التى تحيط بى ، بدت الأرض أكثر جمالا واستقر ذهنى على ضرورة التوقف لأرى ما يحدث عن كثب .

كان الخطر المحدد يكمن فى احتمال أن أقع انا - أو الآلة - فى مكان غير مناسب ، فطالما اننى أسافر فى الزمن بسرعة هائلة هذا لا يهم ، ولكن عندما اتوقف قد أجد نفسى ممتزجا مع أية مادة مهما تكن فى المكان الذى أجد نفسى فيه ، كما أن هذا التوقف قد يؤدي الى انفجار يطيح بى وبألتى خارج الزمن - فى اللامعلوم !

كنت قد فكرت فى ذلك مرارا وأنا أصنع الآلة ولكن فى ذلك الوقت كان يمكننى أن أقبل بالمخاطرة

كخطر لا يمكن تجنبه ، خطر على الانسان أن يقبله ؛
أما الآن وأنا على وشك المخاطرة فأننى لا يمكننى أن
أأخذها بنفس الخفة ، وتدرجيا أخذت تتغلب على
مشاعرى الغرابة المطلقة ، لكل شيء ، وترنح الآلة من
جانب الى جانب وشعورى المتواصل بعملية السقوط
مما أضعف ارادتى ، فصحت أولا : لا يمكننى أن
أتوقف ، ثم انفجرت غاضبا أصبح : لا بل سوف
أتوقف على الفور !

* * *

اندفعت كالمجنون وجذبت المقبض ، انقلبت الآلة
على الفور ووجدت نفسى ملقى - برأسى أولا - فى
الهواء .

سمعت صوتا كالرعد فى أذنى ، ويبدو اننى وقعت
مغشيا على بعض الوقت ، وسمعت صوت تساقط
كرات الثلج من حولى ، ثم أدركت اننى أجلس فوق
حشائش فى مواجهة الآلة المقلوبة ، كل شيء مازال
يبدو ومادى اللون ولكن سرعان ما تبينت ان الضجيج
المتشابك فى أذنى قد توقف ، أخذت أنظر حولى ، بدا

لى أننى أجلس فى ممر معشوشب صغير فى حديقة ،
تحيط بى شجيرات الورد ، لاحظت أن ورودها الحمراء
والأرجوانية تنثنى تحت هذا السيل المنهمر من كريات
الثلج الصغيرة ، كما غطت كريات الثلج الآلة وكونت
ما يشبه السحابة فوقها وامتدت هذه السحابة على
الأرض كالدخان ، وفى لحظة شعرت بأن جلدى مبتل .

صحت قائلًا :

— يا لها من طريقة لطيفة لتحية رجل مسافر
عددا لا يحصى من السنين كى يأتى اليكم !

ثم فكرت فى نفسى :

— با لى من أحمق أن أبتل هكذا !

قمت ورحت أنظر حولى ، رأيت بوضوح شكلا
ضخما منحوتا فى نوع من الحجر الأبيض يبدو خلف
أكمام الزهور خلال الغبار الضبابى المتساقط ، ولكن
باقى ما فى العالم ليس مرئيا بالمرّة .

عندما قل انهمار الثلج تبينت ما هو هذا الشكل
بوضوح اكثر ، كان ضخما جدا حتى ان الشجرة
الطويلة القائمة بجواره لا تكاد تمس كتفه ، وله هيئة
أسد برأس انسان ، كما ان له أجنحة ممتدة كأنه
يطير مرتفعا في الهواء ، أما قاعدته فمصنوعة من البرونز
وعليها غطاء كثيف من الصدا الأخضر ، وتصادف
أن وجه أبى الهول هذا كان يواجهنى ، وبدا كأن
عينيه الحجريتين تراقبانى . . وكما لو كان هناك
شبح ابتسامة على شفثيه ، وقد عملت فيه عوامل
التحات الجوى بشدة مما أعطاه مظهرا كئيبا كأنه
مريض .

وقفت أنظر الى هذا الشئ بعض الوقت ،
ربما نصف دقيقة أو نصف ساعة لست أدرى ، وبدا
لنى كأنه يتقدم أو يتعد من خلال الثلج الذى يتماقط
أمامه ، وأخيرا أبعدت ناظرى عنه ورأيت أن الثلج كاد
يتوقف والسما ساطعة تشبىء عن قرب طنوع
الشمس .

نظرت مرة أخرى الى الشكل الأبيض الضخم
وأحسست أن كل رعب الرحلة هاجمنى فجأة ، ترى
ما الذى سوف يبدو حين تنزاح هذه الستارة من
الضباب جانبا ؟ ما الذى حدث للانسان سواء كان
خيرا او شرا ؟ ربما تكون القسوة قد أصبحت سمة
عامة ، او ربما يكون جنس الانسان قد فقد طبيعته
الانسانية وأصبح ممعنا فى القوة بدون مشاعر العطف
والرقة ، وقد أبدو لهم كحيوان متوحش من العالم
القديم او كمخلوق مرعب مثير للاشمئزاز ينبغى قتله
على الفور .

ثم تبينت وجود أشكال ضخمة أخرى . . مبان
ضخمة ذات عمد طويلة وسفح تل تنمو عليه الأشجار
كانه يقترب منى كلما قلت العاصفة ، وانتابنى خوف
بالغ .

عدت الى آلة الزمن المقلوبة وحاولت أن أعد لها
مرة أخرى . وبينما أنا أفعل ذلك اخترقت أشعة

الشمس العاصفة الرعدية ، وانزاح المطر الرمادى
الغزير واختفى كأنه طيلسان شبح ، ومن فوقى فى
سماء الصيف البالغة الزرقة تتحرك نتف من السحب
وتتبدد فى العدم ، ورأيت المباني الضخمة من حولى
تقوم واضحة صافية تلتمع فى رطوبة العاصفة الرعدية
وتحيط بها غلالة بيضاء بفعل كرات الثلج غير الذائبة
التي تعلقو حوافها .

احسست كأننى عار فى عالم غريب ، شعرت
كأننى طائر صغير يطير فى جو صاف وهو يعلم أن
عدوا يطير فوقه على استعداد للانقضاض عليه
وقتله ، وتحول خوفى الى جنون ، أخذت أنفسى بمشقة
وضفطت على أسناني ورحت أعالج آلة الزمن مرة
أخرى ، تحركت الآلة وانقلبت وتراجعت الى الوراء
حيث كانت فارتطمت بدقنى وأحدثت فيها جرحا
عميقا .

تراجعت وأخذت أنظر حولى مرة أخرى الى هذا
العالم الذى يكمن فى المستقبل البعيد ، وعندئذ رأيت فى

شباك دائري مرتفع في جدار أقرب منزل مجموعة من
الأشخاص مرتدين ملابس يبدو عليها الثراء والنعمه .

لقد رأوني بلا شك فقد كانت وجوههم متجهة
نحوى .

ثم سمعت أصواتا تقترب منى ورأيت رؤوس
واكتاف رجال يتقدمون نحوى خلال اكمام الأشجار
بالقرب من التمثال الأبيض الضخم . . واقترب أحد
هؤلاء الرجال من الممر الذى أقف فيه أنا وآلتى . .
كان يبدو مخلوقا هزيلا طوله حوالى أربعة أقوام
ويرتدى معطفا أرجوانيا يشده بحزام على وسطه
ويرتدى ما يشبه الحذاء فى قدميه ولكن رجليه عاريتان
الى الركبتين ، ورأسه عار ، عندما لاحظت ذلك ،
لاحظت لأول مرة كم يبدو النجو دافئا .

بدا لى الرجل مخلوقا بالغ الجمال والرقه ،
ولكنه ضعيف هس ، وبمجرد رؤيته شعرت بمزيد من
الثقة ، ورفعت يدى عن الآلة .

(٥) الناس الصفار

ما كادت تمر دقيقة واحدة حتى كنا نفغ وجها لوجه ، أنا وذلك المخرق الصغير الدقيق القادم من المستقبل .. وجدته يقترب منى ويضحك في وجهى ، دهشت لأنه لم يظهر أية علامة من الخوف ، ثم استدار الى الشخصين اللذين يتبعانه وتحدث اليهما .. بلغة غريبة ناعمة حلوة !

وجاء آخرون ، وسرعان ما كان ثمانية أو عشرة من هؤلاء الناس الصفار يلتفون حولى ، وبدأ أحدهم يحدثنى ، خشيت أن يخرج صوتى أجش عاليا

فيشير فيهم الذعر ، ولذا اكتفيت بأن هززت رأسي وأشرت الى أذني وهززت رأسي مرة أخرى ، ازداد الرجل اقترابا مني ، وبدت عليه الريبة لحظة ، ثم لمس يدي ، وأحسست بأصابع صغيرة ناعمة أخرى على ظهري وكتفي ، يبدو أنهم كانوا يريدون أن يتحققوا مما اذا كنت شخصا حقيقيا ، ولم يكن في ذلك ما يخيف ، الواقع انه كانت هناك صفة واضحة في هؤلاء الناس الصفار هي الرقة الطفولية مما أعطاني مزيدا من الثقة ، كانوا يبدو صغارا رقيقين بحيث تخيلت أن في مقدوري أن ابطش بهم جميعا بسهولة فائقة ، ولكني بدلا من ذلك زجرتهم بعيدا عندما رأيت أياديهم الوردية الصغيرة تتحسس آلة الزمن ، ولحسن الحظ تذكرت - قبل أن يفوت الأوان - خطرا كنت قد نسيتته فاندفعت الى الآلة وفككت مقابضها الصغيرة التي تشغلها ، ووضعتها في جيبى ، ثم التفت مرة أخرى لأرى ماذا يمكن أن أصنع للتفاهم مع هؤلاء الناس الصفار .

رحت أتفحص في وجوههم فوجدت شواهد أخرى على رقتهم التي تحاكي رقة الأطفال ، كان شعرهم متموجا يغطي كل زؤوسهم وينسدل حتى ينتهي بقصة مقاجئة على العنق والخددين ، ولا توجد علامة على وجود شعر في وجوههم ، أما آذانهم فكانت صغيرة جدا وكذلك الأفواه صغيرة تحيط بها شفاة حمراء رقيقة وذقونهم مدببة ، وعيونهم واسعة حنونة . تصورت أن وصولي اليهم يعتبر حدثا هاما مسلما لهم ، ولكن الواقع أن اهتمامهم بذلك الحدث كان أقل من المتوقع .

لم يحاولوا أن يتحدثوا الي ، واكتفوا بالوقوف حولي يتسمون ويتحدثون الي بعضهم البعض بأصوات كزقزقة العصافير ، فقبرت أن أبدا أنا الحديث ، أشرت الي آلة الزمن والى نفسى ، واخذت أفكر لحظة كيف يمكننى ان اعبر عن فكرة الزمن ، ثم أشرت الي الشمس ، وفورا رأيت أحد هذه المخلوقات الصغيرة الجميلة يرتدى ملابس أرجوانية وبيضاء يتابع حركاتى ، ولدهشتى قام بتقليد صوت الرعد .

ظللت مدة دقيقة لا أعرف كيف أفكر رغم أن ما يقصده كان واضحا ، وقفز في ذهني سؤال : هل هذه المخلوقات حمقى ؟ ها انتم ترون اننى كنت دائما اتوقع أن يكون اناس عام ٨٠٢٧٠٠ يسبقوننا كثيرا في المعرفة والفن وكل شيء ، ثم فجأة سألنى احدهم سؤالا تبينت منه ان ذهنه لا يتجاوز ذهن طفل عمره خمس سنوات ، فقد تساءل عما اذا كنت قد جئت من الشمس في عاصفة رعديّة ! حتى الآن لم اكن قد كونت حكما عليهم من واقع ملابسهم واطرافهم الضعيفة ووجوههم الرقيقة ، وبعد هذه الصدمة فاضت في ذهني خيبة الأمل ، ترى هل انفقت كل هذا الجهد في بناء آلة الزمن عبثا ؟

هززت راسى . . وشرت الى الشمس واخرجت صوتا مقلدا الرعد ، فخافوا ، وارتدوا الى الوراء وانحنوا امامى ، ثم تقدم منى احدهم وهو يضحك حاملا قلادة من الزهر الجميل وضعها حول عنقى

(كانت الزهور من نوع جديد تماما بالنسبة لى)
وتصايح الآخرون صيحات كالموسيقى مبتهجين بهذه
الفكرة .. وسرعان ما جرى الآخرون هنا وهناك
وأخذوا يجمعون الأزهار وهم يتضحكون ويلقونها
على حتى كدت أن أغطى تماما تحت اكوام الزهور ..
اعتقد لا يمكنكم تصور رقة وجمال هذه الأزهار
التي انتجت بعد آلاف السنين من البستنة الماهرة .

ثم اقترح احدهم أن يأخذوا لعبتهم الجديدة
ليشاهدها الآخرون فى المبنى المجاور .. وهكذا
اقتادونى تجاه التمثال الحجرى الأبيض ونحو مبنى
ضخم رمادى اللون مصنوع من الحجر المنحوت ..
كان التمثال الحجرى الأبيض يتطلع نحوى بابتسامة
دهشة ، وعندما كنت أسير معهم ضحكت من تصورى
لفكرة القبر والجنس المثقف الذى سوف يعقبنا على
هذه الأرض .

كان المبنى له مدخل هائل وهو نفسه فى غاية
الفخامة ، ولكنى لم اتبينه بدقة بسبب الجهمرة

المتكاثرة من الناس الصغار والبوابة الضخمة أمامي
والمكان الغامض من ورائها . . وبينما كنت أسير معهم
شاهدت من فوق رؤوسهم كمية من الأشجار الجميلة
والأكمام والأزهار في حديقة طال إهمالها ، ورأيت
عددا من الأزهار البيضاء الغريبة يبلغ عرض الواحدة
منها زهاء قدم ، وهي تنمو متناثرة كأنها أزهار برية
بين الأكمام ، ولكنى لم أتفحصها بدقة في ذلك الوقت .
وكانت آلة الزمن ملقاة مهجورة فوق الحشائش
بين أكمام الزهر .



وكانت بوابة المدخل مغطاة بالنقوش ، ولكنى لم
أستطع أن أتفحص نقوشها بدقة ، كانت تبدو محطمة
بشدة وبالية بفعل الطقس ، وتوافد أناس جدد في
ملابس زاهية استقبلوني عند المدخل ، ودخلنا معا ،
كانت ملابس القبيحة التي جاءت من القرن التاسع
عشر تبدو قبيحة تحت تاج الأزهار الذي ارتديه
ووسط هؤلاء الناس الصغار بملابسهم الملونة الزاهية ،

وهم ملتفون حولى يتحدثون ويتضحكون ، لقد كان
موكباً غريباً بكل معنى الكلمة .

كانت البوابة تؤدي الى قاعة ضخمة ذات لون
بنى ، سقفها تغطيه الظلال ، ونوافذها (بعضها مغشى
بالزجاج الملون وبعضها بلا زجاج على الاطلاق) تسمح
بمرور ضوء معتم ، أما الأرضية فمصنوعة من بلاطات
ضخمة من مادة بيضاء في غاية الصلابة ، ولكنها
تآكلت بفعل مرور الناس عليها ازماناً طويلة مما ترك
أفها قنوات عميقة ، وتناثر في القاعة موائد كثيرة
مصنوعة من قطع ضخمة من الحجر المصقول ترتفع
بمقدار قدم فوق الأرض ، وعلى هذه الموائد اكوام من
الفاكهة عرفت بعضاً منها كالتفاح والبرتقال وغير ذلك
من الفواكه التي أعرفها ، ولكنها أكبر بكثير مما رأته
في الماضي . أما معظم الفاكهة فكانت غريبة تماماً
بالنسبة لى .

وكانت تتناثر بين هذه الموائد أعداد كبيرة من
الوسائد ، جلس عليها الناس الذين قادونى الى هذا

المكان وأشاروا لى أن أفعل مثلهم ، ثم بدأوا يأكلون
الفاكهة ويلقون بالقشور والنوى فى فتحات على جانبى
الموائد ، ففعلت مثلهم بارتياح ، لأنى كنت أحس
بالعطش والجوع ، وأخذت أجول بناظرى حول القاعة .

أهم ما لاحظته فى القاعة حاجتها الى الإصلاح ،
فالنوافذ المركبة من مثلثات ومربعات ودوائر زجاجية
ملونة ، مكسورة فى أماكن كثيرة ، والستائر المسدلة
على الجزء الأذنى من القاعة تحمل طبقة من التراب
الكثيف ، ولاحظت أن حافة المائدة الحجرية القريبة
منى مكسورة ، ولكن الانطباع العام عن القاعة أنها فى
غاية الشراء والجمال .

كان هناك زهاء المائة شخص يأكلون فى القاعة ،
معظمهم يجلسون بأقصى ما يستطيعون بالقرب منى ،
وكانوا يلاحظونى باهتمام ، وعيونهم الصغيرة تلمع
فوق الفاكهة التى يأكلونها ، وجميعهم يرتدون ملابس
من نفس الخامة الحريرية الناعمة القوية .

كانوا لا يأكلون شيئاً سوى الفاكهة ، ان هؤلاء الناس فى المستقبل البعيد أكلة فاكهة ، فهم لم يأكلوا غيرها وأنا معهم ، وبالرغم من رغبتى الشديدة فى قطعة من اللحم كان على أن أكون من أكلة الفاكهة أنا أيضاً ، والواقع اننى اكتشفت أن جميع الحيوانات كالخيول والأبقار والماشية والكلاب قد انقرضت تماماً ، كما انقرضت فى أيامنا هذه الحيوانات الضخمة التى عاشت فى الماضى البعيد ، ولكن الفواكه كانت لذيدة للغاية ، ومن أحسنها ثمرة فاكهة تشبه الوردة محاطة بمحارة ذات ثلاثة أوجه .

فى أول الأمر احترت أزاء هذه الفاكهة الغريبة والأزهار الغريبة التى رأيتها ، ولكنى بدأت أفهم معناها فيما بعد .

* * *

عندما أكلت بما إفيه الكفاية قررت أن أقوم بمحاولة لمعرفة اللغة التى يتحدث بها هؤلاء الناس ، فهذا هو الشيء التالى الذى على أن أفعله . . وخيل

لى أن الفاكهة هى احسن شىء أبدا به ، فأمسكت
بأحداها ورفعتها الى أعلى وأخذت آتى بعلامات تدل
على رغبتى فى معرفة اسمها ، فى البداية أخذوا
يحدقون فى بدهشة وانفجر بعضهم فى ضحك
لا يستطيعون التحكم فيه .. وأخيرا فهم مخلوق
صغير منهم له شعر خفيف مقصدى ، وكرر على
مسامعى اسم تلك الثمرة .

وأخذوا يتحدثون كثيرا ويشرحون الأمر بالتفصيل
لبعضهم البعض ، واثارت محاولاتي الأولى لتقليد
أصوات لغتهم حبورا زائدة لديهم ، ولكنى شعرت
كما لو كنت مدرسا فى فصل من الأطفال ، وكنت فى
غاية الحزم معهم ، وعرفت حوالى عشرين اسما لأشياء
مختلفة ، ثم تعلمت كلماتهم التى معناها « هذا »
و « تلك » و « هذه » و « هؤلاء » وفعل « أن
تأكل » ، ولكن ذلك ثم فى ببطء شديد ، إذ شعر هؤلاء
الناس الصغار بالضجر وأرادوا الخلاص من أسئلتى ،
ولذا قررت أن من الأفضل أن أتوقف عن سؤالهم
وأن أتركهم هم يعطونى دروسا كلغنا شاءوا أن

يفعلوا ، وكانت هذه الدروس في الواقع قصيرة جدا ،
اننى لم اقابل في حياتى اناسا اكسل منهم أو أسرع
بالاحساس بالتعب .

وسرعان ما اكتشفت صفة غريبة جدا في هؤلاء
الناس هى أنهم ينقصهم الاهتمام ، غالبا ما كانوا
يقبلون على صائحين بدهشة كالأطفال ولكنهم (كالأطفال
أيضا) سرعان ما يتوقفون عن فحصى وينصرفون عنى
باحثين عن شىء آخر يلعبون به ، وبعد العشاء ودرس
اللغة لاحظت أن جميعهم تقريبا قد انصرفوا عنى .

ومن الغريب اننى أيضا سرعان ما بدأت أفقد
الاهتمام هؤلاء الناس الصغار ، وبمجرد أن أشبعت
جوعى خرجت من الباب الى العالم الذى تنيره
الشمس ، ومضيت في طريقى التقى بالمزيد من رجال
المستقبل هؤلاء ، وكانوا يتتبعوننى لمسافة قصيرة
ويتجادثون ويتضاحكون من حولى ويتسمون لى ،
ويأتون بعلامات ودية ، ثم يتركوننى أفعل ما أريد .

(٦) غروب البشرية

عندما خرجت من القاعة الكبيرة كان الليل قد أرخى سدوله ، ولكن لا يزال الشفق الأحمر المنبعث من الشمس القاربة يضيء المنظر . . . في البداية بدت لى الأشياء مثيرة للحيرة ، كل شيء كان مختلفا تمام الاختلاف عما أعرفه ، حتى الأزهار . . . وكانت النهاية الضخمة التى غادرتها تطل على وادى نهر عريض ، ولكن يبدو أن نهر التيمس قد ابتعد بمقدار ميل عن موقعه الحالى .

قررت أن اتسلق قمة تل يبعد حوالى ميل

ونصف ، وبينما كنت أمشي رحت أبحث عن أى شيء
يمكن أن يفسر لى تلك الحالة الخربة التى آل اليها
مصير العالم .. لقد كانت حالة خربة حقا ، وفى
طريقي مصعدا فى التل رأيت كومة كبيرة من الأحجار
تربطها أحزمة معدنية ، كانت الجدران قد تساقطت
وتحولت الى كومة من الأحجار ونمت بينها النباتات
البرية .. كان من الواضح انها بقايا بناية ضخمة لم
أستطع أن أخمن غرضها أو استخدامها .

تطلعت حولى فلم أجد أثرا للبيوت الصغيرة ،
كان يبدو أن هذا البيت الوحيد تسكنه أسرة واحدة
ثم توقفت الحياة فيه ، وكان فى استطاعتى أن أرى
مبان كبيرة هنا وهناك ، ولكن نموذج البيت الضغير
والكوخ اختفيا تماما .

ثم جاءتنى فكرة أخرى ، نظرت الى الأشخاص
السته الصفار الذين يتبعونى ، وجدت أنهم يرتدون
نفس نوع الملابس ، ولهم نفس الوجوه الناعمة الخالية
من الشعر ، ونفس الأطراف الأثوية المستديرة (قد

يبدو غريبا اننى لم الحظ ذلك من قبل ، ولكن كل
شيء كان يبدو غريبا) .

وكانوا جميعا متشابهين رجالا ونساء لا يوجد
فارق بينهم فى الملابس او البشرة او السلوك ، وحتى
الاطفال كانوا لا يختلفون عن هؤلاء النساء والرجال
الصفار ويشبهون آباءهم فى كل شيء .. وخمنت أن
اطفال ذلك الزمان متقدمون جدا فى نموهم الجسدى
وأشياء أخرى كثيرة ، وقد وجدت بعد ذلك أدلة
كثيرة تؤكد هذا الظن .

كان هؤلاء الناس يعيشون فى راحة عظيمة وأمن
تام ، وفى مثل هذه الظروف تصبح الفروق بين
الجنسين متشابهة ، فالقوة البدنية للرجل ووحدة
الأسرة واختلاف الواجبات بين الرجال والنساء ..
هذه الأشياء كانت ضرورية فى عصر القوة والحرب ،
ولكن عندما يكون لدى الناس ما يكفيهم ، ولا يهددهم
خطر القتل أو الموت ، يصبح انجاب الأطفال نقمة
لا نعمة ، وحين ينتفى خطر الحرب ويكون الأطفال

سالمين لن تكون هناك حاجة لتكوين أسرة قوية ،
ولا تعود هناك حاجة لأن تتفرغ المرأة للعناية بالأطفال .
ونحن نرى بعض بدايات ذلك في زمننا الراهن أما في
المستقبل فسوف يتم الأمر .

ينبغى أن أذكركم بأن ذلك ما كنت أفكر فيه في
ذلك الوقت ، ثم اكتشفت فيما بعد كم كانت أفكارى
تلك بعيدة عن الحقيقة .



بينما كنت أفكر في هذه الأشياء لفت انتباهى
مرأى بناء صغير جميل ، تبينت أنه عبارة عن بئر تحت
قبة صغيرة ، تعجبت في نفسى قائلاً :

— يا له من امر غريب أن الآبار لاتزال موجودة . .
ومضيت في طريقى استكشفت أشياء أخرى .

لم تعد هناك مبلىن كبيرة ناحية قمة التل ، وكانت
خطواتى واسعة لا يستطيع مجاراتها هؤلاء الناس
الصفار ، فانفضوا من ورائى وتركونى وحيداً ، شعرت

بالحرية وحب المغامرة ومضيت في طريقى نحو قمة التل .

عندما بلغت قمة التل وجدت مقعدا مصنوعا من شبه معدن أصفر ومغطى الى منتصفه بالحشائش الناعمة . جلست على المقعد والقيت نظرة على عالمنا القديم في غروب شمس ذلك اليوم الطويل . . كان منظرا من أحلى وأبدع المناظر التى رأيتها فى حياتى ، كانت الشمس قد سقطت خلف الأفق وبدا الغرب كأنه يشتعل بالذهب الذى تتخلله عمدان أرجوانية وحمراء . . وتحتى وادى التيمس حيث يبدو النهر كقطعة من الفولاذ المصقول . . لقد ذكرت لكم شيئا عن القصور الكبيرة التى تتخلل الأشجار بعضها مدمر تماما وبعضها لايزال مسكونا ولم تكن هناك حقول منفصلة ، أفلا وجود للعلامات أو الأسوار التى تحدد الملكية المستقلة ، والأرض كلها تحولت الى حديقة كبيرة .

جلست فى مكانى أحاول أن أجد تفسيرا للأشياء

التي رأيتها . (وقد تبينت بعد ذلك اننى اهتديت الى
نصف الحقيقة فقط ، مجرد نظرة الى احد جانبي
الحقيقة) .

* * *

جعلنى منظر غروب الشمس افكر فى غروب
البشرية ، خيل لى اننى التقيت صدفة بالبشرية
وهى فى حالة انحلال ، ولأول مرة تحققت من النتيجة
الغريبة التى تؤدى اليها جهودنا فى تحقيق التقدم
الاجتماعى الذى نسعى لتحقيقه فى الوقت الحاضر ..
ان هذه الجهود لا تنتج سوى الضعف ، ان الضعف
البشرى هو نتيجتها الطبيعية ، فالقوة تتحقق بالحاجة
الى القوة ، اما السلامة فتؤدى الى تشجيع الضعف ..
ان الحضارة تجعل شروط الحياة ايسر وأسهل ،
وأستمر عمل الحضارة متصلا الى ان وصلت الحضارة
الى أعلى ذراها ، فتوالى الانتصارات على الطبيعة ،
والأشياء التى كانت أحلاما أصبحت خططا ، وهذه
الخطط تحولت الى حقائق ، والنتيجة ما أراه الآن !

ان المحافظة على الصحة والاستخدام العلمى
للأرض فى الزراعة هما اليوم فى بدايتهما فقط ، ان
العلم فى عصرنا لم يهاجم حتى الآن سوى جزء صغير
من مجال المرض الانسانى ، ولكن العلم يتقدم فى ببطء
وثبات ، نحن ندمر فى مزارعنا وحدائقنا عشباً هنا
وعشباً هناك .. وقد نزرع عشرين نبتة جديدة نافعة ،
ولكننا نترك الجزء الأكبر يكافح ليعيش أو يموت ، اننا
نحسن بعض النباتات والحيوانات تدريجاً بعملية
الانتخاب الطبيعى ، ولكن ما أقل هذه النباتات
والحيوانات المفضلة لدينا ! نحن ننتج تفاحة أحسن ،
وبرتقالة بدون بذر ، وزهرة أجمل وأكبر ، وسلالة
من الأبقار أبرد ، اننا نقوم بتحسين هذه الأشياء
تدريجياً لأن أهدافنا ليست واضحة ومعرفتنا ضئيلة،
والطبيعة تتطور ببطء بين أيدينا غير الماهرة ، ولكن
سيأتى اليوم الذى تتحسن فيه هذه الجهود وتتطور،
ان العالم كله سيكون أكثر ذكاءً وتعليماً وتعاوناً ، وكل
شئ سيتحول بسرعة أكبر وأكبر نحو النصر النهائى

على الطبيعة ، ومن النهاية ، بحكم الدقة والعلم ،
سنجمل الحياة النباتية والحيوانية تستجيب استجابة
تامة للحاجات الانسانية .



كل هذا العمل لايد أنه تم على خير وجه خلال
تلك السنوات التى قفزت عبرها آلة الزمن ، أصبح
الجو خاليا من الحشرات السامة ، والأرض خالية من
الأعشاب الضارة ، وتحسنت الثمار والأزهار ،
واختفت الأمراض ، حتى عملية الفناء أمكن السيطرة
عليها .

وحدثت هناك أيضا تحسينات اجتماعية كبيرة ،
أفها أنا أرى الناس يعيشون فى مبان رائعة ويريدون
ملابس جميلة ، والى الآن (على الأقل) لم أجدهم
يقومون بأى عمل ، ولم أجد أى علامة على الصراع . .
سواء الصراع من أجل الثروة أو الصراع لتحسين
المركز الاجتماعى أو تحقيق الشرف . . واختفت تماما

المحلات والاعلانات والتجارة وكل هذه الأشياء
التي نوليها اهتماما كبيرا في عالمنا .

وكان من الطبيعي في تلك الأمسية الذهبية أن
تأتيني فكرة تحقيق الجنة الاجتماعية على الأرض ، في
الأزمنة القديمة كانت العقبة دائما هي زيادة النسل ،
هذه العقبة انتهت الآن ، وتوقف عدد السكان عن
التزايد .

هذا التغير في الظروف أدى بالطبع الي تغييرات
كثيرة اخرى ، فما السبب في الذكاء البشرى والنشاط
البشرى ؟ .. السبب يكمن في الظروف التي تجعل
النشيط والقوى والماهر يعيش ، بينما الضعيف
يموت ، السبب هو الظروف التي تتطلب ان يعمل
الرجال الأذكياء سويا في عزم وصبر وأصرار .

وفي الماضي كانت هناك اخطار كبرى تتهدد
الصغار ومن هنا نشأت الأسرة : رغبة الرجل في امتلاك
زوجة ، والمطف على الصغير ، وتضحيات الأبوين .

أما الآن فليست هناك أخطار .. الصغار لم يعودوا في خطر يتهددهم ، وبالتالي لم تعد هناك حاجة الى زواج أو تضحيات الأمومة أو الى أى عواطف قوية من أى نوع ، فالعواطف القوية ليست ضرورية ، إنها تجعلنا غير مستريحين ، أنها نفمة نشاز في الحياة المتحضرة .

وفكرت في هؤلاء الناس بأجسادهم الصغيرة الهزيلة وعدم ذكائهم ، وهذه المباني الكبيرة المهدمة فازداد ايماني بأن الانسان أحرز نصرا تاما على الطبيعة .. وبعد المعركة ركن الى الهدوء ، لقد كان الانسان فى الماضى قويا نشيطا ذكيا واستخدم كل طاقته لتغيير ظروف حياته ، واستطاع أن يصنع لنفسه عالما من الراحة التامة والسلامة التامة .

وتحت هذه الظروف الجديدة من الراحة التامة والسلامة التامة أصبحت هذه الطاقة المتأججة (التى نسميها الآن القوة) علامة ضعف ، وحتى فى زمننا

هذا تحولت بعض الرغبات التي كانت ضرورية للحياة من قبل الى اسباب للفشل ، فمثلا القوة البدنية وحب العراك أصبحا لا يفيدان الآن ، بل ربما أصبحا يضران الرجل المتحضر .

ولسنوات طويلة لم يعد هناك خطر للحرب أو من الهجوم .. ولا خطر من الوحوش المفترسة ، ولا أمراض تستدعى أن يكون الجسم قويا ليقاومها .. ولا حاجة الى العمل الشاق .. وفي مثل هذه الحياة يكون الضعيف ملائما كالقوى ، بل في الحقيقة لم يعد الضعيف ضعيفا ، فالضعفاء يلائمون هذه الظروف على نحو أفضل لأن الأقوياء يكونون غير مستقرين وتقصف بهم الطاقة المتأججة التي لا تجد مخرجا .

وهذه المباني الجميلة كانت الانجاز الأخير لهذه الطاقة التي أصبحت بلا هدف الآن قبل أن يتوقف الانسان عن العمل الجماعي ويخلد للراحة ، انها آخر « صيحات النصر » قبل « السلام الكبير الأخير » ، وهذا دائما هو مصير الطاقة في ظروف الأمن ،

اذ يستخدم الناس كل طاقتهم فى الفن او ممارسة
الحب وفى النهاية يأتى التراخى والانهيـار .

وفى هذا العصر الذى اطلمت عليه كانت حتى
المشاعر الفنية قد بدأت تموت أيضا ، فكل ما بقى
لدى الناس من الروح الفنية أن يزبنوا أنفسهم بالأزهار
أو يرقصوا أو يفنوا فى ضوء الشمس ، بل حتى
ذلك سوف يخمد فى النهاية . . ان الألم والضروزة
يبقيان الانسان قويا كما يسن الحجر حد السكين ،
ولكن ها هو الحجر ينكسر فى النهاية .

ظننت ، وأنا أقف هناك فى الظلام المتجمع ، اننى
بهذا التفسير البسيط قد فهمت سر هؤلاء الناس
الساحرين ، وفكرت أيضا انه ربما كان نجاحهم فى
تحديد النسل قد أدى الى انخفاض عددهم عما كان
عليه من قبل ، وهذا يفسر وجود كثير من النباتات
الخربة الخالية .

كان تفسيرى بسيطا جدا ، وبدا لى مقنعا للغاية،
ولكنه كان فى الواقع خاطئا !

(٧) ضياع آلة الزمن

وفيما أنا واقف هناك سطع القمر بدرا تاما ،
وأرسل أشعته الفضية تندفق فوق العالم ، وانقطع
الناس الصغار اللامعون عن الذهاب والمجيء عند سفح
التل ، كان الجو باردا فقررت أن أعود لأبحث عن
مكان أقضي فيه الليل .

رحت أبحث بنظري عن البناية التي أعرفها ،
فوقعت عيني على تمثال أبي الهول الأبيض الشاهق
وقد صار أكثر وضوحا في ضوء القمر الساطع . .
وكانت اكمامات العشب من حوله تبدو أكثر سوادا في

الضوء الشاحب ، ويمتد أمامه ممر أرضي صغير ،
حققت في هذا الممر ، ثم انتابني شك غريب قلت في
نفسى :

— كلا ! هذا ليس هو الممر !

ولكنه كان الممر فعلا ، اذ ان وجه أبى الهول
الأبيض يواجهه تماما ، ولكن اين هى آلة الزمن ؟ لقد
اختلفت تماما !

هل تتصورون شعورى حين تأكدت ان آلة
الزمن قد اختلفت فعلا ؟

يمكن ان ابقى هنا عاجزا عن التصرف في هذا
العالم الغريب الجديد بلا أمل في العودة ، سيطرت
على هذه الفكرة وأخذت بخناقى وأوقفت تنفسى ..
وفي اللحظة التالية أخذت أجرى كالمجنون هابطا
المنحدر ، وسقطت اثناء الجرى على رأسى وجرح
وجهى .. لم انتظر كى اوقف النزيف وانما قفرت
وواصلت الجرى والدم الدافىء يتدفق على خدى
وذقنى ، وظللت اقول فى نفسى وانا أجرى : « لا بد

أنهم حركوها قليلا ، لعلهم خباؤها وراء هذه الشجيرات
لإفساح الطريق « . . ولكنني تأكدت أن هذه الفكرة
محض حماقة وإن الآلة اختفت من المكان تماما .

أخذت أتنفس بصعوبة ، ويبدو لي أنني قطعت
كل المسافة من قمة الجبل إلى الممر الصغير . وهي
تبلغ حوالي الميلىن - في عشر دقائق مع أنني لست
شابا فتيا ورحت أحدث نفسي بصوت مرتفع على هذه
الثقة الحمقاء التي جعلتني أتخلى عن آلة الزمن هكذا
ببساطة ، وأخذت أصرخ دون أن يجيبني أحد فلم
يكن هناك مخلوق واحد يتحرك في هذا العالم الذي
يفغره ضوء القمر .



وعندما وصلت إلى الممر تأكدت من صدق
مخاوفي ، فلم يكن هناك أي أثر لآلة الزمن ، وشعرت
بالأغماء والبرد وأنا أحدث في المكان الخالي بين
الأحراش ورحت ادور حول المكان كما لو أن ما أبحت
عنه قد يكون مخبوءا في أحد الأركان ، ثم توقفت فجأة

وانسا اشد شعري ، كان ابو الهول ينحني فوقى على
قاعدة البرونزية وهو يبدو ابيض شاحبا فى ضوء
القمر البازغ ، بدا لى كأنه يتسم ساخرا من ياسى
العاجز .

أخذت أهديء من روعى بتصور انه ربما يكون
الناس الصغار قد خبأوا الآلة فى مكان آمن من أجلى،
ولكنى كنت واثقا من أنهم لا يملكون الذكاء أو القوة
ليفعلوا ذلك ، وهذا ما أخافنى حقا ، لقد شعرت
انه ربما كانت هناك قوة خفية لا زالت مجهولة لدى
هى التى تسببت فى اختفاء آلة الزمن ، ولكنى كنت
متأكدا من شىء واحد : ان الآلة لا يمكن أن تكون قد
سافرت فى الزمن فقد نزعمت مقابض التشغيل منها ،
ولا يمكن لأحد أن يحركها بدون هذه المقابض ..
لا بد أن تكون الآلة قد تحركت فى المكان فقط .. لا بد
أنها مخبوءة فى مكان ما .. ولكن أين هو ؟

أذكر انه انتابنى لبعض الوقت مس من الجنون،
فاخذت أجرى هنا وهناك بين الشجيرات تحت ضوء

القمر ، وقفز حيوان ابيض مدعورا في الضموء
الشاحب ، جيون يشبه الغزال .. وأذكر انى
مضيت اضرى الشجيرات بيدى الاثنتين حتى سال
منهما الدم .. ثم جريت وأنا اصيح من فرط
الشقاء نحو البناية الحجرية الكبيرة .

كانت القاعة الكبيرة مظلمة ساكنة مهجورة
واندفعت اجرى فيها وأنا اتعثر فى الموائد الحجرية
ثم اشعلت عود ثقاب وانسلت وراء الستائر المتربة .
وهناك وجدت قاعة كبيرة اخرى مغطاة بالوسائد
التي ينام عليها حوالى العشرين أو الثلاثين من هؤلاء
الناس الصغار ، أعتقد أنهم وجدوا منظرى غابة فى
الغرابة لأننى اندفعت فجأة من الظلام اصيح بكلمات
غير مفهومة واشعل عود ثقاب ، وهم قد نسوا كل شىء
عن الثقاب !

صحت كالطفل الفاضب : « اين آلة الزمن التي
جئت بها ؟ » . . وامسكت واحدا منهم وأخذ أهزه ،

ويبدو أن المنظر بدأ لهم غاية في الغرابة كما قلت ،
فأخذ البعض منهم يضحكون ولكن الأغلبية بدأ عليهم
الذعر الشديد .

عندما رأيتهم يقفون حولى حائرين تبينت مدى
حماقتى اذ جعلتهم مذعورين منى على هذا النحو ،
فألقيت بعود الكبريت واندفعت خارجا الى قاعة
الطعام الكبيرة ومنها الى الخارج فى ضوء القمر بعد
أن ارتطمت بواحد منهم وكدت أدهسه ، وسمعت
ورائى صيحاتهم المذعورة ووقع أقدامهم الصغيرة وهم
يهربون فى كل اتجاه .

لست اذكر كل ما فعلت بينما القمر يرتفع بطينا
فى السماء ، لاشك أن فقدانى غير المتوقع لالة الزمن
أصابنى بالجنون ، شعرت اننى انفصلت نهائيا عن
الناس من نوعى ، وأصبحت حيوانا غريبا فى عالم
غريب . فأخذت أجرى هنا وهناك أصبح وابتهل لله
ثم سقطت على الأرض بين الخرائب تحت ضوء
القمر اتخبط فى مخلوقات غريبة ذات ظلال سوداء ،

وفي النهاية رقدت بالقرب من ابي الهول ورحت ابيكى
في شقاء هائل .

استغرقنى النوم وعندما تيقظت كان النهار قد
جاء ، ورأيت طائرين صغيرين يتقافزان حولى على
الحشائش .

جلست فى نسيم الصباح المنعش احاول ان
اتذكر ماذا جاء بى الى هنا وما سبب التعاسة
والاحساس بالخسارة التى اشعر بها ، وبدأت الأشياء
تنضح فى ذهنى ، وأصبح فى امكانى ان أقدر ظروفى
جيدا فى ضوء النهار الواضح البين ، فتبينت مدى
حماسة سلوكى المجنون فى الليلة السابقة ، وأخذت أفكر
بتعمق على النحو التالى :

— افترض أسوأ الاحتمالات .. افترض ان
الآلة قد ضاعت الى الأبد ، ولعلها دمرت ، ينبغى رغم
ذلك ان اكون هادئا وان اتعلم كيف يتصرف هؤلاء
الناس ، يجب ان أعرف كيف ضاعت آلة الزمن ،

هل سرقت أم اخذت الى مكان آخر .. وكذلك كيف
يمكننى أن أحصل على المواد والآلات التى قد
أستطيع بها أن أصنع آلة زمن أخرى اذا احتجت الى
ذلك ، هذا هو أملى الوحيد ، وهو أمل هش كما
ترون ولكنه أحسن من اليأس ، وأخيرا ان العالم
الذى أوجد فيه ليس سيئا جدا بل انه عالم جميل
شريب .

ولكن ربما كانت الآلة قد أبعدت فقط الى مكان
مجهول ويتحتم على أن اتحلّى بالهدوء والصبر وأبحث
عن مكانها ثم استرجعها بالقوة أو الخديعة ثم قمت
واقفا وأخذت أنظر حولى باحثا عن مكان يمكننى أن
استحم فيه ، فقد كنت متعبا متوترا متسخا ،
وجعلنى انتعاش الصباح أرغب فى انتعاش مماثل ،
وهكذا توقفت عواطفى المتأججة ، والواقع اننى لم
البث أن وجدت نفسى أتعجب من اضطرابى الشديد
فى الليلة السابقة .

أخذت أنفحص بعناية أرض المر الصغير ،
وأضعت بعض الوقت فى محاولة سؤال الناس

الصغار الذين اقتربوا مني ، ولكنهم جميعا لم يفهموا
ما أقصد ، فالبعض كانوا ببساطة أغبياء والبعض
تصوروا اننى أمزح وراحوا يضحكون ، وأخذت ابذل
جهدا شديدة لمنع كفى من الارتطام بوجوههم الجميلة
الضاحكة .

اعطتني الحشائش مفتاحا لا بأس به ، فقد
وجدت علامة طويلة عليها تمتد من قاعدة أبي الهول
الى علامات أقدامى عند حضوري في اليوم السابق ،
حين كنت أحاول أن أعدل الآلة المقلوبة ، كما عثرت
على علامات أخرى تدل على جر الآلة تشبه خريشات
تحدثها أظافر دب !

لقت هذه العلامة الطويلة انتباهي الى قاعدة
أبي الهول المصنوعة من البرونز . . لم تكن مجرد
كتلة من المعدن ولكنها كانت مزينة بوفرة ، ولها أظن
عميقة محفورة على جوانبها ، فذهبت الى القاعدة
البرونزية ودققت عليها ، وجدتها مفرغة من الداخل ،
فأخذت أفحص جوانبها بدقة فوجدت انها ليست



علامات مثل خريشات الظاهر الدب

قطعة واحدة ذات اطر ، ولم أجد هناك مقابض
ولا فتحات مفاتيح ، ربما كانت الجوانب تفتح من
الداخل اذا كانت لها ابواب حقا . . شيء واحد أصبح
واضحا في ذهني ولم يكلفني كثيرا من جهد التفكير
وهو ان آلة الزمن داخل هذه القاعدة ، اما كيف
وصلت الى هناك فمشكلة اخرى .

رايت رأسى اثنين من الناس الصفار ، في رداء
برتقالى ، قادمين نحوى تحت شجرة تفاح مزدهرة ،

ابتسمت لهما وأشرت لهما أن يقتربا ، فاقتربا بالفعل ،
وعندئذ أشرت الى القاعدة البرونزية بما يفهم منه اننى
أريد ان أفتحها ، ولكن ما ان بدأت أقوم بهذه
الحركات حتى أصبح سلوكهما غريبا جدا ، لا أعرف
كيف أصف لكم تعبيرات وجهيهما ، تصور انك تأتي
باشارة قبيحة جدا لسيدة رقيقة ، هكذا يكون رد
فعلها ، ولم يلبث الشخصان ان اختفيا سريعا كما
لو كانا تلقيا أكبر اهانة ممكنة .

بعد ذلك كررت نفس الشيء مع شخص صغير
حلو الملامح يرتدى ثيابا بضياء ، وكانت نفس
النتيجة ، ولكن كما تعرفون كنت أريد آلة الزمن
فحاولت معه مرة أخرى ، وعندما بدأ يفر كالآخرين
أحسست بالغضب الشديد ، فأسرعت وراءه في
ثلاث خطوات وأمسكت به من ياقة رقبته ، وأخذت
أدفعه نحو أبى الهول ، وعندئذ رأيت أشد ملامح
الذعر مرتسمة على وجهه فتركته يهرب .

ولكنى لم أياس ، أخذت أدق على صفائح البرونز
بقبضتى يدي بأشد ما أستطيع ، تصور. اننى

أسمع شيئاً في الداخل ، أو إذا أردتم الدقة ،
تصورت أنني سمعت ما يشبه الضحكة ، ولكن ربما
كنت مخطئاً ، ثم ذهبت وأحضرت قطعة كبيرة من
الحجر من شاطئ النهر وأخذت أدق بها على قاعدة
التمثال حتى أهدئت ثقباً في النقوش انهمر منه تراب
الصدأ ، ولا بد أن الناس الصغار كانوا يسمعونني
وأنا أدق على مسافة ميل من المكان ، فقد رأيت
مجموعة منهم على المنحدرات البعيدة يراقبونني
خفية ، وأخيراً ضقت بالحرارة والتعب ، فجلست
أراقب المكان ، ولكنني شعرت بالتسلق البسالم ،
أذ يمكنني أن أعمل في مشكلة ما لمدة سنوات ولكنني
لا أستطيع أن أبقى بلا عمل لمدة أربعة وعشرين ساعة ،
ولكن هذه مسألة أخرى .

نهضت بعد فترة من الوقت وأخذت أمشي
بلا هدف بين الأحراش في اتجاه التل مرة أخرى .

قلت لنفسي وأنا اسير :

— صبرا ! .. اذا اردت ان تحصل على آلة زمن مرة أخرى عليك أن تترك أبا الهول وشأنه ، ا كانوا يعنون أن يأخذوا منك آلة الزمن الى الأبد لن يفيدك شيئا أن تحطم هذه الأبواب ، واذا كانوا يقصدون ذلك فسوف تحصل عليها عندما تسأل نها ، عليك أن تواجه هذا العالم .. تتعلم طريقه .. واقبه .. احذر أن تصل الى نتائج متسرعة ، وفي نهاية سوف تعرف معنى كل ذلك !

وفجأة فكرت في السنوات الطويلة التي قضيتها ، الدراسة والعمل من أجل أن أصل الى زمن المستقبل ، والآن كل ما يشغلني أن أخرج من هنا .. ضحكت ، لقد أوقعت نفسي في أسوأ فخ يمكن أن نصبه انسان ، وضحكت مرة أخرى بضوت عال .

عندما دخلت القصر الكبير بدا لي كأن الناس لصفار يتجنّبونني ، ربما كنت أتخيل ذلك ، أو ربما يكون الأمر علاقة بطريقي على البوابات البرونزية

للتمثال ، ولكنى شعرت انهم يتجنبوننى فعلا وحاولت
جهدى ان لا ابدو قلقا او ان اتبعهم وخلال يوم
او اثنين عادت العلاقات بيننا ودية كما كانت .

وأحرزت تقدما بقدر الامكان فى فهم لغتهم ،
يبدو انها كانت لغة فى غاية السهولة : فهى لا تحوى
شيئا سوى أسماء الأشياء والأفعال . . ويبدو انها
كانت تخلو تماما من المعانى المجردة او لعلها تحوى
القليل جدا منها ، والجملة بسيطة للغاية تتكون من
كلمتين اثنتين ، وفشلت فى أن أجعلهم يفهمون أى
شئ سوى الأفكار البسيطة ، وقررت ان اتناسى
كل شئ عن آلة الزمن ولفز الأبواب البرونزية تحت
تمثال أبى الهول . . فى النهاية لاشك ان زيادة
المعرفة سوف تعيدنى اليهم بطريقة طبيعية ، ومع
ذلك فقد جعلنى شعور معين - لاشك انكم تفهمونه -
ادور فى دائرة آميال قليلة حول نقطة وصولى .

كان العالم يبدو من حولى بهيجا كوادى التيمس
الحالى ، ومن كل تل أصعده أرى من حولى مبانى

رائعة تتباين بلا نهاية في الشكل والمواد التي بنيت بها ، والماء يلتمع هنا وهناك كالفضة وخلفها ترتفع الأرض على التلال الزرقاء وتدوب في هدوء السماء .

شيء غريب أثار انتباهي ، هو وجود عدة آبار دائرية بعضها يبدو عميقا للغاية ، كان أحدها في الطريق الصاعد في التل الذي صعده في أول مجيئي، وكانت حافته من البرونز كالآبار الأخرى وعليه قبة صغيرة تحميه من مياه الأمطار ، فجلست الى جانب هذه الآبار ورحت أحملق في الظلام ، لم أر التماع الماء وعندما اشعلت عود ثقاب لم أر أى انعكاس ، ولكنى سمعت صوتا يتردد في كل منها .. ث .. ث .. كضربات آلة كبيرة .. واكتشفت من حركة شعلة الكبريت وجود تيار مستمر من الهواء يندفع هابطا في الآبار ، وألقيت قطعة من الورق في فوهة أحد الآبار فوجدتها بدلا في تهبط ببطء تنسحب بسرعة الى الداخل .

وبعد فترة ، بدأت أربط بين هذه الأبراج الطويلة المقامة هنا وهناك ، اذ وجدت كل منها حركة في الهواء كما يحدث في يوم حار بقعة من الرمال الساخنة ، وربطت بين هذه الاماكن معا فتوصلت الى احتمال قوى بوجود نوع من التهوية ، يبدو انه نوع ما من التهوية تحت الارض وفي اول الامر ظننت ان هذه التهوية مرتبطة بالصحى (الانابيب التى تحمل المخلفات بعيدا ولكنى كنت مخطئا في هذا الظن .

اعترف اننى لا اكاد اعرف شيئا عن زى المجارى ، وعن نقل البضائع من مكان الى والاشياء التى من هذا القبيل اثناء الفترة التى قضى فى المستقبل ، ان هناك معلومات كثيرة عن أش من هذا القبيل فى الكتب الروائية التى تتحدث عوالم المستقبل ، ولكن تصور ماذا يمكن ان رجل قادم لتوه من اواسط افريقيا عن لندن اذا

الى قوته ، ماذا تراه يعرف عن صرفها الصحى ،
وتليفوناتها ، وبرقياتها ، ونظامها البريدى ؟ حتى اذا
عرف .. كيف يجعل اصداقاه يفهمون ؟ مع ان
الفارق بين عقل هذا الرجل وعقولنا ضئيل ، ولكن
الفارق بين عقلنا وعقول رجال المستقبل الذى يبعدون
عنا آلاف وآلاف السنين كبير للغاية ، اننى اعرف
الكثير عن أشياء غير مرئية ساعدتنى ان اكون مرتاحا
ولكنى لا اعرف شيئا عن طريقة عملها الخفى .

فمثلا فيما يتعلق بالدفن لم ار قبورا على
الاطلاق .. ربما كانت وراء نطاق تجوالى .

مسألة اخرى اثار حيرتى اكثر : اننى لم ار
مسنا او مريضا .

استطيع ان اقرر ان كثيرا من افكارى عن هؤلاء
الناس الصغار كانت خاطئة ، دعونى اخبركم شيئا
عن الصعوبات التى واجهتنى ، مثلا القصور الكبيرة
التى رايته كانت مخصصة للمعيشة فقط ، بها

قاعات مطاعم كبيرة وقاعات للنوم ، ولكن ليس فيها آلات من أى نوع ، ولكن هؤلاء الناس يرتدون ملابس حسنة ومن الضروري بلاشك تغييرها مع الوقت كما أن أحذيتهم قطع معدنية معقدة ، من الذى صنع هذه الأشياء ؟ من المؤكد أن الناس الصغار ليست لديهم أية قدرة على عمل أى شىء لأنفسهم ، انهم يقضون كل وقتهم فى اللهو البريء ، أو السباحة فى النهر ، أو ممارسة الحب ، وفى التهام الفاكهة والنوم ، لا أدرى حقيقة كيف تسير الأمور .

مرة أخرى أعود الى آلة الزمن : لابد أن هناك شيئاً (أجهله) جرها الى القاعدة المجوفة لتمثال أبى الهول ، لماذا ؟ لا أستطيع أن أتصور سبباً لذلك ، ثم هذه الآبار التى لا تحوى ماء ، وهذه الأعمدة التى تلفظ الهواء الساخن . أشعر اننى نسيت شيئاً .. أشعر .. كيف يمكننى أن أعبّر ؟ !

افترض انه وقعت في يدك قطعة من الورق مكتوبة
عليها عبارات بأسلوب انجليزي ممتاز ، وممزوج بها
كلمات غير مفهومة اطلاقا ؟ هذا ما شعرت به في
اليوم الثالث لزيارتي لهذا العالم الذي يقع في
عام ٨٠٢٧٠١ !

(٨) « وينا » الصغيرة

سوف أحكى لكم الآن عن صداقة تمكنت من عقدها في ذلك العالم الغريب .. فقد حدث اننى كنت أشاهد هؤلاء الناس الصغار وهم يسبحون ، ورأيت واحدة منهم يصيبها شد عضلى ويجرفها التيار ، لم يحاول أحد من مواطنيها - لفرط ضعفهم الغريب - أن يقوم بأدنى جهد لاتقاذها وهى تفرق أمام أعينهم .. وعندما تحققت من ذلك خلعت ملابسى سريعا ونزلت الى الماء ثم غطست الى قعر من العمق وامسكت بال مخلوقة المسكينة ، واخرجتها سالمة الى البر ، ثم رحمت ادلك اطرافها ولم أتركها الا بعد أن

أطمأنتت على أنها صارت بخير ، ولما كانت فكرتى سيئة للغاية عن هؤلاء الناس الصغار لذلك لم أتوقع منها أى عرفان بالجميل ، ولكنى كنت مخطئاً فى ظنى هذا .

حدث ذلك فى الصباح ، وبعد الظهر التقيت بهذه المرأة الصغيرة أثناء عودتى الى مقرى من جولة طويلة فى الخارج ، رأيتها تستقبلنى بصيحات الابتهاج وتقدم لى اكليلا كبيرا من الزهر كان من الواضح أنها صنعته خصيصا من أجلى . أثار هذا العمل مخيلتى ، وربما أثار فى شعورا بالحزن ، ولكنى حاولت قدر استطاعتى أن أبدو مسرورا بالهدية ، وسرعان ما كنا نجلس سويا فى كوخ حجرى صغير نتحدث سويا بالابتسامات المتبادلة ، لقد انثرت فى صداقة هذه المخلوقة تماما كما تتأثر بصداقة طفل ، ورحنا نتبادل الأزهار ، وقبلت يدى ، وقبلت يديها ، ثم حاولت أن اكلمها ، وعرفت ان اسمها « وينا » وكانت هذه بداية صداقة غريبة دامت

أسبوعا ثم انتهت على النحو الذى سأخبركم به
فيما بعد .



كانت طفلة بكل معنى الكلمة ، كانت تريد أن
تكون معى دائما ، وتحاول أن تتبعنى فى اى مكان
أذهب اليه ، وعندما أتركها وأذهب بعيدا فى بعض
شأنى يخيل لى أن قلبها يتمزق ولا تفتأ تصيح ورأى
وتنادينى ، ولكن كان على أن اكتشف شئون ذلك
العالم ، فما جئت الى المستقبل - هكذا قلت لنفسى -
من أجل انشغل بقصة حب صغيرة .

كان حزنها عندما أتركها عظيما ، ولكنها كانت
فى نفس الوقت مصدر سلوى كبيرة لى ، واعتقدت
أن مجرد العاطفة الطفولية هى ما تربطها بى ، ولم
يتضح لى الا متأخرا جدا مدى الألم الذى سببته لها
عندما تركتها ولم أفهم أيضا الا متأخرا جدا ماذا
كانت تعنيه بالنسبة لى ، تلك اللعبة الصغيرة جعلتنى
أشعر بعودتى الى أبى الهول الأبيض كانى عدت الى

منزلى ، وكنت أتطلع لرؤية قدها الصغير بملاب
البيضاء والذهبية بمجرد أن أعود من الت
وبسببها أيضا عرفت أن الخوف لم يزائل ا
بعد ، كانت تبدو شجاعة فقط في ضوء الن
وكانت تثق بى ثقة عمياء ، وذات مرة ، بح
منى ، نظرت اليها مهددا فكان رد فعلها يب
أن أفرقت فى الضحك ، ولكنها كانت تخشى
والأشياء السوداء ، فالظلام كان أشد شئ يخ
واكتشفت عندئذ أن هؤلاء الناس الصغار يتجم
المنازل الكبيرة عند حلول الليل ، وينامون فى ج
وأشد ما يبت فيهم الفزع أن تدخل عليهم بلا ض
ولم أر مطلقا واحدا منهم فى الخارج بعد
الظلام أو نائما وحده داخل المنزل ، ومع ذلك
أغيبى من أن أفهم درس هذا الخوف ، وبالر
حزن « وينا » مضيت أنام بعيدا عن رفقة الآخر

كان ذلك يزعجها بشدة ، ولكن فى الب
انتصرت محبتها الغريبة لى ، وصرت أنام معهم و

تضع رأسها على ذراعى .. ولكن حديثى عنها على
هذا النحو يجعل قصتى تهرب منى .

حدث فى الليلة السابقة على انقازها من الفرق
انى استيقظت قرب الفجر ، كنت قلقا فى نومى أحلم
حلما مزعجا باننى أغرق وأن حيوانات البحر تمس
وجهى بأطرافها الباردة الناعمة ، فاستيقظت
منزعجا وخيل لى أن حيوانا رمادى اللون يندفع
خارجا من الغرفة ، حاولت أن أعود الى النوم ولكنى
شعرت بالقلق وعدم الراحة ، كان الوقت رماديا
معتما حيث تبدو الأشياء كأنها تزحف خارجة من
الظلام ، وحيث يبدو كل شيء عديم اللون ومحددا
ولكنه غير حقيقى ، فقامت من رقتنى ونزلت الى
القاعة الكبرى ثم خرجت الى كومة الأحجار أمام
القصر ، وتصورت اذا استيقظت أن فى مقدورى أن
أشاهد بزوغ الشمس .

كان القمر قد جنح الى الغروب ويمتزج ضوءه
الخافت بضوء الفجر الدابل فيما يشبه الغبش الذى

تتحرك فيه الأشباح ، وكانت الشجيرات فاحمة
السواد والأرض رمادية صماء والسماء بلا لون
ولا بهجة ، وعلى أعلى التل خيل لى اننى أرى أشباحا،
ثلاث مرات رايت أشكالا بيضاء تتحرك على
المنحدر . . مرتان تخيلت اننى أرى مخلوقا يشبه القرد
الأبيض يجرى بسرعة على التل ، ومرة شاهدت
بالقرب من الأحجار الخربة اثنين من هذه المخلوقات
يحملان ما يشبه الجسم المظلم ، وتحركا بسرعة ، ولم
أعرف ما حدث لهما ، يبدو انهما اختلفيا بين
الشجيرات ، وكان الفجر لا يزال غير بين ، فشككت
فيما أرى .

وعندما بدأ الجزء الشرقى من السماء يزداد
نصوعا وضوء النهار ينبثق ، دققت النظر ، فلم أر
أثرا لهذه الاشباح البيضاء ، قلت فى نفسى :
« لعلها كانت أشباحا » ، وظللت أفكر فى هذه
الأشكال طول الصباح ، حتى قابلت « وينا » فطردتهم
تماما من ذهنى ، ولكنى ربطت بينهم على نحو غير
محدد وبين الحيوان الأبيض الذى رأته عندما كنت

أبحث عن آلة الزمن ، لقد كانت « وينا » موضوعا
محبيا للتفكير .

أعتقد اننى ذكرت من قبل أن الجو في هذا
العصر الذهبى أكثر حرارة من جونا ، ولا أستطيع أن
أفسر ذلك ، ربما لأن الشمس سوف تزداد سخونة
أو أن الأرض سوف تزداد اقترابا من الشمس ،
أنا نعتقد أن الشمس سوف تميل الى البرودة في
المستقبل ، ولكن الناس ينسون أن الكواكب سوف
تسقط في النهاية واحدة بعد الأخرى في حوض الأم
التي جاءت منها ، وعندما يحدث ذلك سوف تزداد
بالنسبة لها حرارة الشمس ، وقد تكون احدى
الكواكب الأقرب الى الشمس من أرضنا قد لقيت
هذا المصير ، مهما كان السبب فالؤكد ان الشمس
ستكون أكثر حرارة مما نعرف .

ذات صباح شديد الحرارة - أعتقد انه اليوم
الرابع - كنت أحاول الاحتماء من الحرارة في كومة
كبيرة من الأحجار بالقرب من القصر الضخم الذى

انام فيه واكل ، عندما صعدت فوق هذه الكومة
الأحجار وجدت ممرا ضيقا نهايته ونوافذه الجانب
مغلقة ، فدخلت فيه ائلمس طريقى لأن التحول
الضوء الساطع الى الظلام الدامس جعل بقعا
الألوان تعوم من حولى ، وفجأة توقفت ، اذ را
زوجين من الأعين تراقبانى فى الظلام .



ورأيت مخلوقا يشبه القرد الأبيض

اجتاحنى الخوف الطبيعى القديم من الوحوش
المفترسة ، ولكنى خشيت أن انفلت هاربا ، وفكرت
فى الأمان المطلق الذى يبدو ان الانسان يحيا فيه الآن
كما تذكرت الخوف الوهمى من الظلام ، وعكذا
تغلبت على مخاؤفى وتقدمت خطوة الى الأمام وأنا
أتكلم . . . أعترف أن صوتى كان خشنا مضطربا ،
ومددت يدى فلمست شيئا ناعما ، وعلى الفور قفزت
العينان جانبا ورأيت شيئا ابيض ينفلت هاربا ،
فالتفت وقد سقط قلبى فى أعماقى لأرى شكلا غريبا
يشبه القرد الصغير رأسه مدلاة يجرى عبر المساحة
المضيئة من خلفى ثم اصطدم بحجر وسقط وفى لحظة
اختفى فى الظل الأسود تحت ركام من الأحجار .

لا أستطيع بالطبع أن اصف هذا المخلوق
تماما ، ففكرتى عنه ليست كاملة ، ولكنه كان كتلة
بيضاء له عينان غريبتان كبيرتان محمرتان ، وثمة
شعر ابيض خفيف يتدلى على ظهره ، ولكنه
كما قلت هرب مسرعا فلم أستطيع أن اراه بوضوح .

ولا أستطيع ان أقول ما اذا كان يجرى على أربعة
أقدام أو ما اذا كانت يده الأماميتان متديلتين الى
الأرض ، بعد لحظة انتظار تبعته الى كومة الأحجار ،
لم أتمكن من رؤيته أول الأمر ولكن بعد قليل اقتربت
من إحدى الفتحات الدائرية التي تشبه فوهة البئر ،
كما أخبرتكم عنها من قبل ، كانت نصف مغلقة
بسبب سقوط عمود عليها ، وجاءتني فكرة مفاجئة :
ترى هل اختفى ذلك الشيء داخل البئر ؟

أشعلت عود ثقاب ، ونظرت الى أسفل ، رأيت
مخلوقا صغيرا أبيض يتحرك في الداخل وعيناه
الكبيرتان اللامعتان تحدقان في ثبات وهو يتراجع ،
شعرت تجاهه بالقرف ، فقد كان يشبه عنكبوتا
بشريا وهو يهبط في البئر ، ولأول مرة رأيت الآن
عددا من المقابض المعدنية للأيدي تشبه السلم ،
وعندئذ لسمعت شعلة الكبريت أصابعي وسقطت من
يدى ، وعندما أشعلت عود ثقاب آخر كان المخلوق
قد اختفى .

لا أعرف كم من الوقت جلست أهدق في البئر ،

ولكن لا بد أن يكون انقضى بعض الوقت قبل أن أستطيع
أقناع نفسي بأن هذا الشيء الذي رأيته ينتمي إلى
الجنس البشري ، ولم ألبث أن توصلت تدريجيا
إلى الحقيقة التي كانت غائبة عني ! لا بد أن الإنسان
الذي نعرفه لم يبق كما هو ، وإنما تغير وتحول إلى
نوعين مختلفين من الحيوان : النوع الطفولي الرقيق
الذي عرفته في العالم العلوي والذي هو نسل
مباشر للإنسان الحالي ، وهذا الشيء الشاحب
المرعب الذي يحيا في الظلام هو أيضا من أحفادنا .



فكرت في الأعمدة التي تخيلت أنها وسائل
للهوية ، ترى ما هي في حقيقة الأمر ؟ وترى ماذا
يفعل هذا المخلوق تحت هذه الأعمدة ؟ وما علاقته
بالجنس الهاديء الكسول الجميل الذي يحيا فوق
سطح الأرض ؟ وما الذي هناك في أسفل هذه
البئر ؟ وجلست على خافة البئر أقول لنفسي ليس
هناك ما أخشاه ، يجب أن أنزل في البئر وأبحث عن

احابات للأسئلة التي تحيرنى ، ولكنى فى الواقع كنت شديد الخوف .

وبينما كنت فى حالتى المترددة هذه ، جاء اثنان من جنس العالم العلوى الجميل يمرحان فى ضوء النهار ويبحثان عن مكان يختبئان فيه ، كان الذكر يحاول أن يغازل الأنثى وينثر عليها الورد وهو يجرى وراءها .

بدا عليهما الغم عندما وجدانى ، وذراعى مستندة على العمود المقلوب وأنا أهدق فى البئر ، يبدو أنه كان من المتعارف عليه ان من سوء الخلق أن ينظر أحد فى هذه الآبار ، وعندما أشرت الى البئر وحاولت أن أسألها عنه مستخدما ما أعرفه من لغتهم بدا عليهما مزيد من الغم وتحولا عنى ، ولكنهما ابتهجا بالكبريت الذى أشعله ، فأشعلت بعض الأعواد لأزيد من انبساطهما ، وحاولت أن أسألها مرة أخرى عن البئر ، ولكنى فشلت أيضا فتركتهما وشأنهما وفكرت أن أذهب إلى « وينا » لأرى ما يمكن أن أعرفه منها .

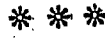


كان يشبه عنكبوتا بشريا

بدأت تخميناتي وافكاري تأخذ منحى آخر ..
لدى الآن بعض الفكرة عن معنى هذه الأبار ،
ن أبراج التهوية ، وعن لفظ الأشباح ، وأعرف معنى
أبات البرونزية ومصير آلة الزمن !

ثم جاءتني فكرة غامضة تتساءل ترى كيف

يعيش هؤلاء الناس الصغار ؟ .. من الذى يموتهم
بالملابس والمأكولات التى يحتاجون اليها ؟ .. لا بد
انه هذا الجنس البشرى الآخر الذى يحيا تحت
الأرض ، هذا الجنس الذى يتميز بالمظهر الشاحب
الشائع فى معظم الحيوانات التى تعيش فى الظلام ،
كالسماك الأبيض فى كهوف كنتوكى مثلا ، وفى هذه
العيون الكبيرة الشائعة فى الحيوانات الليلية كالقطط ،
وأخيرا فانهم يجفلون من ضوء الشمس ويسارعون
بالاختباء فى الظلام ، وكذلك طريقة تخبئة رؤوسهم
فى الضوء .. هذه كلها من علامات الحيوان الذى
يعيش فى الظلام .



لاشك اذن أن الأرض تحت قدمى بها سراديب
ضخمة يحيا فيها هذا الجنس الجديد ، وأن وجود
مداخن التهوية والآبار على طول منحدرات التل - وفى
كل مكان فى الواقع ما عدا وادى النهر - ليشهد
بمدى كثرة هذه الدهاليز وانتشارها ، وفى هذا

العالم السفلى يجرى صنع الأشياء اللازمة لراحة سكان الجنس الذى يحيا فى ضوء النهار .

وبدا لى ان الاتساع التدريجى فى الشقة الاجتماعية الحالية بين الرأسماليين والعمال هو مفتاح الأمر برمته ، ان ثمة ميلا حتى فى اليوم الراهن الى استخدام مساحة ما تحت الأرض لتأدية بعض الأغراض غير المبهرة للحضارة ، فمثلا هناك سكة حديد تحت الأرض فى لندن ، وهناك مطاعم ومصانع تحت الأرض لا تفتأ تزيد وتتضاعف ، وتداعى الى ذهنى انه لا بد أن يكون هذا الاتجاه قد زاد حتى فقدت الصناعة تدريجيا حقها فى البقاء تحت السماء ، لقد غاصت أعمق أعمق فى مصانع اكبر أكبر تحت الأرض وأصبح العمال يقضون مزيدا من الوقت هناك الى أن . . ! انه حتى الآن نرى العاقل البريطانى فى الحى الشرقى بلندن يعيش فى مثل هذه الظروف ويكاد يكون منقطعا تماما عن السطح الطبيعى للأرض .

ومن الناحية الأخرى هناك ميل الأثرياء الى الإبقاء على انفسهم منفصلين عن الفقراء ، ولهذا

السبب أغلقت مساحات كبيرة من سطح الأرض لحسابهم الخاص . . ان نصف الريف البريطاني الجميل مفلق تماما في وجه الغرباء ، وهذا يجعل الاتصال بين الطبقة والطبقة أكثر صعوبة بصفة متزايدة ، حقيقة يوجد في الوقت الحالى بعض الزواج المختلط (أى التزاوج بين الأثرياء والفقراء) الذى يؤخر انقسام الانسان الى حيوانين منفصلين ، ولكن هذا ما حدث فى النهاية : لقد انقسم الانسان ، فوق الأرض يعيش من يملكون غارقين فى المبهج والراحة والجمال ، وتحت الأرض يعيش العمال وقد اعتادوا تدريجيا ظروف عملهم وأصبحوا سعداء فى معيشتهم تماما كسعادة سكان ظهر الأرض بمعيشتهم .



هذه الحضارة المزدوجة وصلت منذ زمن بعيد الى نقطة الذروة وهى الآن تسقط فى الانحلال ، فالأمن المطلق الذى يحيا فيه سكان سطح الأرض جعلهم يتعرضون للنقص فى الحجم والقوة والذكاء ،

ت بوضوح كاف بالفعل ، أما ما حدث لسكان
لأرض فلا أستطيع أن أجزم به ، ولكن ما رأيته
لمورلوك « - وهو الاسم الذي يطلق على هذه
بات - يجعلني لا أشك في أن التغير الذي
يا له كان أكبر مما تعرض له جنس « الأيلوا »
الذي عرفته .

ثم هاجمتني الشكوك المتعبة ، لماذا أخذ
رلوك « آلة الزمن ؟ إذ كنت أشعر أنهم هم
أخذوها بكل تأكيد ، ولماذا لا يستطيع جنس
يلوا « إذا كان هو السيد حقا ان يسترد لي
؟ وما السبب في أنهم يشعرون بهذا الخوف
ب من الظلام ؟

حاولت أن أسأل « وينسا » عن سكان هذا
م السفلى ، ولكنني أصبت بخيبة أمل مرة أخرى ،
البداية لم تفهم ماذا أعنى بأسئلتى ، وفيما بعد
ست الرد على أى سؤال ، وتصرفت كما لو أن
الموضوع غير محتمل على الإطلاق ، وعندما

ضغطت عليها كى تتحدث انفجرت فى البكاء ، وهذه
هى الدموع الوحيدة التى رأيتها فى العصر الذهبى ،
وعندما رأيت الدموع تنهال على وجنتيها توقفت عن
ازعاجها بموضوع « المورلوك » وأصبح همى الوحيد
أن أجفف الدموع من عيني « وينا » ، وسرعان
ما عادت الى الابتسام ، وصفقت بيديها ، وأنا
أشعل من أجلها عود ثقاب !

(٩) في العالم السفلى

مر يومان قبل أن أستطيع أن أواصل اكتشافي الجديد ، كنت أشعر بكراهية خاصة لتلك الأجساد الشاحبة ، كان لونهم يشبه لون الأشياء الميتة التي تحفظ داخل السوائل في المتاحف ، كما تنبعث منهم برودة شديدة تثير القشعريرة فيمن يلمسهم ، ربما تكون كراهيتي لهم ترجع الى حد كبير الى تأثير جنس « الابلوا » الذين بدأت الآن أفهم سبب امتعاضهم من جنس « المورلوك » .

في الليلة التالية أصابني السهاد فلم أستطع

النوم جيدا ، كان يملؤنى الشك ، وشعرت بخوف مجهول لم أجد له سببا محددًا ، أذكر أنني زحفت بهدوء الى القاعة الكبيرة التى ينام فيها الناس الصفار . فى ضوء القمر ، فى تلك الليلة كانت « وينا » بينهم ، فقد كنت أشعر بمزيد من الأمن فى وجودهم .

خلال أيام قليلة سيدخل القمر مرحلة المحاق ، وتصير الليالى أكثر اظلاما ، وعندئذ سيكثر ظهور هذه المخلوقات البشعة من أسفل ، وكنت متأكدا اننى لن أستطيع استعادة آلة الزمن ما لم أقتحم هذه الأماكن الفامضة تحت الأرض ، ومع ذلك لم أستطع مواجهة اللغز ، لو كان معى رفيق لكان الأمر قد اختلف ، ولكنى كنت وحيدا بشكل مرعب ، ومجرد التفكير فى الهبوط فى الظلام داخل البئر زادنى رعبا .. لا أدرى ما اذا كنتم تفهمون مشاعرى ، ولكنى لم اكن أشعر بذرة من الاطمئنان !

ودفعنى القلق الى توسيع دائرة جولاتى فى الخارج .. وذات يوم أخذت الجنوب الغربى فى اتجاه

الأرض العالية التي نسميها الآن « غابة كومب » ،
ولاحظت من بعد في مكان ما نسميه الآن حي
« بانستيد » بناء ضخما أخضر اللون مختلفا في مظهره
عن كل ما رأيت من مباني . . فهو أكبر من كل القصور
أو الخرائب التي عرفت لها وله واجهة على الطراز
الصيني ، وخيل لي أن اختلافه في المظهر يدل على
اختلاف في استعماله أيضا ، وأردت أن أدخله لأرى
ما يكون ، ولكن الوقت كان متأخرا فقررت أن أؤجل
المغامرة إلى الغد ، وعدت إلى « وينا » الصغيرة
لأتمتع بترحيبها وحبها .



في الصباح التالي ، شعرت بوضوح أن اهتمامي
بالقصر الصيني الأخضر لم يكن حقيقة إلا وسيلة
لخداع الذات لكي اتحاشى القيام بالمغامرة الأخرى
التي أخشأها . . وقررت أن أنزل إلى العالم السفلي
بلا إبطاء ، وشرعت في بدء المغامرة في ساعة مبكرة من
الصباح ، وكانت « وينا » الصغيرة تجري إلى جانبي

وترقص حتى وصلنا إلى البئر ، ولكنها عندما رأتني
انحنى على فوهة البئر وانظر في داخله بدا عليها
الهم الشديد .

قلت لها وأنا أقبلها : « وداعا .. يا « وينا »
الصغيرة » .. ثم وضعتها على الأرض وبدأت أبحث
داخل البئر عن مقابض الصعود ، في أول الأمر أخذت
« وينا » تراقبني في دهشة ، ثم أطلقت صيحة
عالية واندفعت نحوي ، وراحت تجذبني بيديها
الصغيرين ، اعتقد أن مقاومتها زادتنى اصرارا على
المضي فيما أنا فيه فأزحتها ، بشيء من الخشونة ربما ،
وأخذت أهبط في فوهة البئر ، ورأيت وجهها فوقى
ينم عن القلق ، فابتسمت لها لأدلها على أنى بخير ،
ثم التفت الى أسفل باحثا عن المقابض التى تعيننى
على الهبوط .

كان على أن أهبط زهاء مائتى ياردة مستخدما
المقابض المعدنية المثبتة على الجوانب ، كان من
الواضح أن هذه المقابض صنعت لتلبية حاجة مخلوق
أصغر وأخف منى ، لذا كان على أن أهبط بسرعة

ودون توقف ، وحدث أن التوى احد هذه المقابض فجأة تحت ثقلى وكدت أهوى فى الفراغ المظلم من تحتى ، وقضيت دقيقة خرجة معلقا بيد واحدة ، وبعد هذه التجربة لم أجرؤ على الانتظار لحظة أخرى لالتقاط أنفاسى ، ورغم ان ذراعى وظهرى كانت تؤلمنى بشدة . . وأصلت الهبوط فى المنحدر بأسرع ما أستطيع ، ونظرت الى أعلى فرايت فتحة البئر تشبه دائرة صغيرة زرقاء تبدو فيها نجمة كما تبدو رأس « وينسا » الصغيرة كنقطة سوداء عند الحافة ، ومن تحتى تصاعد ضجيج آلة أكثر وأكثر ، وفيما عدا تلك الدائرة الصغيرة من فوقى لم يكن هناك سوى الظلام الدامس ، وعندما نظرت الى أعلى مرة أخرى كانت « وينسا » قد اختفت .

كنت أعانى ألما شديدا وشعورا بعدم الراحة . . وفكرت لحظة أن اصعد الى أعلى البئر مرة أخرى واترك العالم السفلى وشأنه ، ولكنى وأصلت الهبوط حتى قبل أن أطرده هذه الفكرة نهائيا من ذهنى ،

وأخيرا رأيت فتحة في الحائط يكتنفها الظلام على مسافة قدم الى يميني ، فرميت بنفسى ناحيتها لأجدها فتحة سرداب أفقى أستطيع أن أتمدد فيه وأرتاح ، وما أشد ما كانت حاجتى الى الراحة ! وكانت ذراعى ناشفتين وتؤلماننى بشدة ، وكنت أرتجف خوفا من السقوط ، والى جانب ذلك كاد الظلام الدامس أن يفسد عيني ، والجو ملء بضجيج الآلات التى تضخ الهواء الى أسفل .

لا أعرف كم من الوقت ظللت ممددا فى السرداب الى أن انتفضت بلمسة يد باردة على وجهي ، فقممت من مرقدى فى الظلام وأخرجت علبة الكبريت وأشعلت عود ثقاب ، رأيت ثلاثة مخلوقات بيض يشبهون تماما المخلوق الذى شاهدته فوق الأرض بين الخرائب ، تراجعوا بسرعة أمام الشعلة ، ولأنهم كانوا يعيشون فى الظلام الدامس لذلك كانت عيونهم كبيرة جدا وحساسة للغاية مثل عيون الأسماك التى تعيش فى أعماق البحر ، لاشك أنهم كانوا يروننى جيدا فى الظلام ويبدو أنهم لم يكونوا يخشون شيئا منى ما عدا

الضوء ، فيمجرد أن أشعلت عود الثقاب فروا هارين .
واختبئوا في الدهاليز والأنايب المظلمة وظلت أرى
عيونهم تلمع بطريقة غريبة وهم يراقبونى .
حاولت أن أناديهم واتحدث اليهم ، ولكن لفهم
كانت مختلفة عن لغة سكان ما فوق الأرض .

واصلت طريقى فى السرداب ، واصوات الآلات
تزداد ارتفاعا ، وسرعان ما اختفت الجدران ووجدت
نفسى فى مكان كبير مفتوح ، فاشعلت عود ثقاب آخر ،
فتبين لى اننى دخلت الى كهف كبير مقوس يمتد فى
الظلام الى ابعد ما يكتشفه الضوء ، وكل ما رأيت
فيه لا يتجاوز ما يمكن أن يراه شخص على شعلة
عود من ثقاب .

ترأت أمامى فى الظلام هياكل ضخمة كالآلات
الكبيرة تلقى وراءها ظللا هائلة سوداء ، كان المكان
شديد الحرارة مختنق الهواء . . وفى الجو رائحة

ضعيفة من الدم الطازج ، وفي منتصف المرر مائدة
بيضاء عليها ما يشبه وجبة غداء ، كان « المورلوك »
على أية حال من أكلى اللحوم ، ودهشت حينئذ . .
ترى ما هو ذلك الحيوان الضخم الذى يمكن أن يقدم
هذا الفخذ الأحمر الكبير ؟ . . كان الجو فى غاية
الغرابية : الرائحة القوية ، الظلال الضخمة التى لامعنى
لها ، الأشكال المعتمة التى تختبئ فى الظلال ابتظارا
لمودة الظلام من جديد ! وبعد قليل احترق عود
الكبريت وسقط على الأرض مشكلا بقعة حمراء فى
الظلام .

انى اتعجب الآن كيف لم أستعد لهذه التجربة
استعدادا كافيا ، عندما بدأت العمل فى آلة الزمن
كنت أتصور أن رجال المستقبل متقدمون عنا بالتأكد
فى كل الأشياء ، ولذا جئت بلا أسلحة وبلا أدوية
وبدون شيء أدخنه ، حتى الكبريت لم يكن كافيا ،
أه لو كانت معى آلة تصوير ! كان فى امكانى أن التقط
صورة للعالم السفلى فى ثانية واحدة ثم افحصها
فيما بعد على مهلى ، ولكن ها أنا أقف هناك وليس

لدى من الأسلحة أو القوى سوى ما منحته لى الطبيعة :
الأيدي ، والأرجل ، والأسنان ، وأربعة عيدان كبريت
فقط لانزال باقية !

* * *

كنت خائفا ان اتقدم بين كل هذه الآلات في
الظلام ، واكتشفت ان مخزوني من الكبريت قد
تضاءل . . لم أكن حريصا حتى هذه اللحظة على
المحافظة على الكبريت ، فالتفت نصف علبة الكبريت في
ادهاش الناس الصغار سكان العالم العلوى ، والآن
لدى أربعة أعواد فقط . وفيما أنا واقف في الظلام
أحسست بيد تتحسنى . . أصابع باردة تتلمس
وجهى ، ورائحة كريهة تملأ أنفى ، وتخلت أنى سمعت
أنفاس مجموعة من هذه المخلوقات الصغيرة المخيفة
حولى ، وأحسست ان علبة الكبريت تسحب برقة من
يدى وأن ايادى أخرى تتلمسنى من الخلف !

احساسى بهذه المخلوقات غير المرئية تتلمسنى
أثار فى نفسى الاشمئزاز ، فصرخت فيهم بأقصى

ما أستطيع ، فتراجعوا ، ثم شعرت أنهم يقتربون مرة أخرى ، واخذوا يلمسوننى بجرأة أكبر وهم يتبادلون همسات غريبة فيما بينهم ، ارتجفت ، ثم صرخت فيهم مرة أخرى .. ولكنهم لم ينزعجوا هذه المرة وراحوا يطلقون ضحكات غريبة وهم ملتفون حولى .. اعترف اننى كنت خائفا الى درجة مرعبة .

قررت أن اشعل عود ثقاب آخر واهرب فى حماية ضوئه ، إقعلت ذلك ، وأشعلت به قطعة من الورق وجدتها فى جيبى ، وتراجعت الى السرداب الضيق ولكن ما كدت أدخل السرداب حتى انطفأت الشعلة وسمعت فى الظلام همسات « المورلوك » كأنها حفيف الريح بين أوراق الشجر ، ووقع أقدامهم الصغيرة كالطر ، وهم يسرعون ورائى .

بعد دقيقة واحدة احسبت بعدة أيد تمسك بى ، لم يكن هناك شك فى أنهم يحاولون جذبى الى الوراء ، فأشعلت عود ثقاب آخر ولوحت به فى وجوههم .. ولا يمكنكم أن تتصوروا مدى الرعب

الذى بدأ على وجوههم ، تلك الوجوه الشاحبة بلا ذقون
ولها أهداف طويلة فوق أعين رمادية قرمزية وهم
يحملقون فى عمى وخوف ، ولكنى لم انتظر طويلا
وأخذت اترجع ثم أشعلت عود الكبريت الثالث ،
وعندما أوشك أن ينطفئ كنت قد وصلت الى فتحة
الحائط .

رحت اتحسس الجدران بحثا عن المقابض ،
وبينما كنت أفعل ذلك أمسك « المورلوك » قدمى من
الخلف وراحوا يجذبوننى الى الوراء ، أشعلت عود
الثقاب الأخير وتوهج ضوءه على الفور ، واستطعت
أن أضع يدي على مقابض الصعود وخلصت رجلى من
ايدى « المورلوك » بالركل ، ورحت أصد البئر سريعا
وهم متكومون تحتى ينظرون نحوى ، فيما عدا مخلوق
صغير منهم ظل يتعقبنى مسافة ما ، وكاد يحصل
على حدائى كجائزة .

بدأ لى هذا الصعود كأنه بلا نهاية ، وفى آخر

عشرين أو ثلاثين قدما أحسست بألم شديد يعترضني،
ووجدت صعوبة بالغة في الإمساك بالمقابض ، وخلال
اليارات القليلة الأخيرة كنت أقاوم كيلا يصيبني
الإغماء ، وغام شعوري أكثر من مرة ، وكدت أسقط
ولكني أخيرا تمكنت من بلوغ فوهة البئر وخرجت
من بين الحطام الى ضوء الشمس المبهر وهناك ارتميت
على وجهي .. وبدت لي رائحة الأرض حلوة نقية ،
وأحسست بصديقتي « وينا » وهي تقبل يدي
وأذني وأصوات آخرين من جنس « اليلوا » ، ثم
فقدت الشعور بعض الوقت .

الآن ، بدا لي انني في وضع أسوأ مما كنت ،
كانت مشكلتي الوحيدة حتى الآن في استعادة آلة
الزمن هي بساطة هذا الجنس الطفولي وقوة أخرى
مجهولة ، وظننت انني لو استطعت فقط أن أفهم
ما هي هذه القوة المجهولة لاستطعت التغلب عليها .
ولكن كان هناك شيء جديد تماما في هؤلاء «المورلوك» ..
شيء غير انساني وشرير ، انني أكرههم ! .. وحتى
الآن كنت أشعر كأنني رجل وقع في فخ ، ولكنني أشعر

الآن كأنى وحش فى فح ينتظر عدوا سوف ينقض عليه
فى أى لحظة .

هذا العدو الذى كنت أخشاه . هو القمر
الجديد !

* * *

كانت « وينا » هى التى وضعت هذه الفكرة عن
القمر الجديد فى رأسى بملاحظاتها عن الليالى المظلمة ،
لم يكن من الصعب الآن أن أخمن معنى مجيء الليالى
المظلمة .. كان القمر يتضاءل ، وكل يوم يتزايد
الظلام .. اننى أفهم الآن سبب الخوف الذى يعترى
الناس الصغار سكان العالم العلوى من الظلام ، وعجبت
أى أشياء شريرة يمكن أن يفعلها « المورلوك » مع القمر
الجديد .

لاشك أن سكان العالم العلوى كانوا يوما جنسا
نبیلا متميزا ، وكان « المورلوك » هم خديمهم الآليون ،
ولكن هدا ما كان منذ زمن بعيد ، ثم وصل

الجنسان الآن الى علاقة جديدة تماما ، تحلل جنس « الايلوا » الى مجرد شيء جميل لا نفع فيه ، ولكنهم ظلوا يمتلكون سطح الأرض لأن « المورلوك » كانوا قد عاشوا تحت الأرض زمنا طويلا بحيث أصبحوا لا يطبقون الحياة فوق الأرض ، واستمر « المورلوك » يصنعون « للايلوا » ملابسهم وأدواتهم التي يحتاجونها - ربما لأنهم تعودوا على خدمتهم كما يتعود الحصان على جر العربة حتى في حالة عدم وجود السائق - ولكن من الواضح ان هذه القاعدة القديمة تغيرت ، واقتربت ساعة القصاص من الجنس المرفه .. منذ آلاف الأجيال الماضية استطاع الانسان أن يطرد أخاه الانسان من مجال الراحة والشمس الساطعة ، والآن ها هو الأخر يعود وقد تغير تماما ! فبدأوا يعرفون معنى الخوف ، وفجأة فغرت في مخيلتي ذكرى اللحم اللذي رأيتة في العالم السفلى وجاوت أن أتذكر شكله ، كان لدى شعور بانني رأيتة من قبل ولكني لا أعرف ما هو حتى ذلك الوقت .

والآن لايزال الناس الصغار في خوفهم الغامض

من جنس « المورلوك » .. ولكن وضعى أنا مختلف ،
لقد جئت من هذا العصر الذى نعيش فيه ، حيث
لا نخاف شيئا ولا نخشى الغموض . اننى أستطيع
على الأقل أن أدافع عن نفسى ، وقررت بلا ابطاء أن
أصنع لنفسى أسلحة وأجد مكانا آمنا انام فيه ، لقد
شعرت اننى لم يعد فى امكانى النوم مرة أخرى حتى
يكون فراشى آمنا من « المورلوك » .. فقد كنت أشعر
بالرعب من الطريقة التى استخدموها فى فحصى !

(١٠) ليلة في الغابة

بعد الظهيرة أخذت أتجول في وادي نهر التيمس
باحثا عن مكان ملائم أنام فيه ولكنى لم أجد ، إن كل
المباني والأشجار يمكن « للمورلوك » أن يتسلقوها
بسهولة ، ولم البت أن تذكرت القصر الأخضر بأبراجه
الطويلة وجدرانه المصقولة وفكرت انه المكان المناسب
لقضاء الليل ، وفي المساء حملت « وينا » على كتفى
كالطفل وصعدت التلال في اتجاه الجنوب الغربى ،
تصورت ان المسافة لا تعدو ساعة أو ثمانية أميال
ولكنها كانت في الحقيقة حوالى ثمانية عشر ميلا ، فقد
سبق ان رأيت القصر لأول مرة في طقس مطر حيث

تبدو المسافات أقصر مما هي عليه في الواقع ، والآن تظهر المسافة على حقيقتها طويلة جدا .. وفي نفس الوقت كان ثمة مسمار في حداثي يؤلنى بشدة ويجعلنى أسير بصعوبة ، ولذا كانت الشمس قد غربت عندما طالعنى منظر القصر أمام خلفية السماء الشاحبة .

كانت « وينا » مسرورة للغاية حين بدأت أحملاها ، ولكنها لم تلبث أن جعلتنى أنزلها على الأرض وأخذت تجرى الى جانبي وتذهب بين حين وآخر لتجمع الأزهار وتضعها فى جيوبى ، كانت جيوبى تحيرها .. ترى ما هو الغرض منها ؟ .. وأخيرا توصلت الى أنها لابد أن تكون نوعا غير مألوف من الأتية لوضع الزهور ، واستخدمتها فعلا لهذا الغرض ، آه .. لقد تذكرت ، عندما كنت أغير معطفى عثرت على هذا ..

وتوقف مسافر الزمن عن الحديث ، ووضع يده فى جيبه ، وأخرج وردتين ذابلتين تشبهان الزنابق

البيضاء الطويلة وضعفها على المائدة ، ومضى في
قصته .

كانت سكيئة المساء تزحف على العالم ونحن
نسير فوق التل في اتجاه « ويمبلدون » وشعرت
« وينا » بالتعب وأرادت أن نعود الى المنزل الحجري،
ولكنني أشرت الى الأبراج البعيدة للقصر الأخضر ،
وجعلتها تفهم اننا ذاهبون الى هناك لنجد مكانا آمنا
يزيل مخاوفها .

اتعرفون هذا الصمت العظيم الذي يكتنف
الأشياء قبل هبوط الظلام ؟ حتى الريح يبدو انها
توقفت عن تخلل الأشجار ، وبالنسبة لى يجعلنى
اقتراب المساء أترقب شيئا مجهولا ، كانت السماء
صافية ، بعيدة ، خالية الا من شرائط طويلة قليلة
من السحاب في اتجاه الغرب ، في مثل هذا الجو المظلم
الهادىء تصبح حواسى مرهفة للغاية ، فشعرت كأننى
أحس بتجويف الأرض تحت قدمى ، بل وأكاد أرى

من خلالها « المورلوك » وهم يذهبون هنا وهناك كالنمل في انتظار أن يسود الظلام ، وشعرت كأنهم ينظرون الى في عداء ، كما لو كانت هناك حرب بينى وبينهم .. ترى لماذا أخذوا آلة الزمن ؟

مضينا في الطريق الهادى الذى يكتنفه ظلام الليل ، وبدأت زرقة السماء تتحول الى اللون الداكن ويلتسع فيها نجم بعد نجم ، كما اسودت الأرض والأشجار ، وزادت مخاوف « وينا » وقلقها فرفتها بين ذراعى وأخذت أتحدث اليها ، ثم ازداد الظلام فطوقت عنقى بذراعيها وأغلقت عينيها وضغطت وجهها بشدة فى كفى ، وهبطنا على منحدر طويل الى الوادى، وأعرضنى جسدول ماء ضحل فعبرته وذهبت الى الجانب المقابل من الوادى مارا بعدد من منازل النوم وتمثال كبير فقد رأسه . حتى الآن لم أكن قد رايت أثرا « للمورلوك » ، ولكن الليل كان لا يزال مبكرا ولا بد أنهم ينتظرون الساعات المظلمة قبل ظهور القمر ليبدأوا نشاطهم .

من فوق قمة التل التالى شاهدت غابة كثيفة
تمتد عريضة سوداء أمامى ، لم أستطع أن أرى نهاية
لها سواء الى اليمين أو الشمال ، وكنت أشعر
بالتعب وقدمى تؤلمنى بشدة ، فانزلت « وينا »
بعناية من فوق كتفى ، وجلست على الحشائش . .
لم يعد فى مقدورى أن أرى القصر الأخضر ، وفقدت
المقدرة على معرفة الاتجاه ، فأخذت اتطلع الى كثافة
الغابة وأفكر : ترى ماذا تخفيه . . ان هذه الفروع
الكثيفة تحجب بالتأكيد مرأى النجوم .

كنت متعبا جدا بعد أحداث ذلك اليوم ، وقررت
أن أمضى الليلة فوق التل المفتوح ولا أغامر باقتحام
الغابة أثناء الظلام .

سررت اذ وجدت « وينا » نائمة ، فدثرتها
بعناية فى معطفى وجلست الى جانبها انتظر طلوع القمر ،
كان جانب التل هادئا مهجورا ولكن كان فى استطاعتى
أن أرى داخل الغابة السوداء حركة أشياء حية بين
الحين والآخر ، وفوقى كانت النجوم تلمع لأن الليلة

كانت صافية للغاية ، وأحسست بنوع من الصداقة
المريحة أزاء ضوء النجوم .

كانت نجوم السماء خلال هذه الآلاف من السنين
قد غيرت من مجموعاتها القديمة وبدا ترتيبها غير مألوف
لى ، ولكن « طريق التبانة » (الذى يشبه شريطا
أبيض عبر السماء) لا يزال كما هو كخط من ذرات
النجوم .

أحسست بالنظر الى هذه النجوم أن متاعبى
صغيرة جدا ، أخذت أفكر فى بعدها الشاهق وفى
مرورها البطيء من الماضى المجهول الى المستقبل
المجهول ، وفكرت فى آلاف السنين التى مرت ، وخلال
ذلك اختفت كل النشاطات وكل الأمم واللغات والآداب
والامال ، بل وذكرى الانسان كما أعرفه من الذاكرة ،
وبدلا من كل ذلك لم تعد هناك سوى هذه المخلوقات
الصغيرة التى نُسِت ماضيها المجيد ، وتلك المخلوقات
البشعة التى اصابتنى بالرعب .

ثم فكرت في الخوف الشديد الذى نشب بين
هذين الجنسين من الانسان ، ولأول مرة جاءتنى فكرة
واضحة عما قد يكون ذلك اللحم الذى رأيتَه ، ولكن
الفكرة كانت مرعبة ! ونظرت الى « وينا » الصغيرة .
النائمة بجوارى كان وجهها أبيض يلمع تحت النجوم ،
وعلى الفور طردت الفكرة من ذهنى .



خلال تلك الليلة الطويلة حاولت أن أطرِد من
ذهنى مسألة « المورلوك » بقدر ما أستطيع ؛ وأمضيت
ساعات الليل أدرس النجوم ، وظلت السماء واضحة
تماما الا من نتفة ضباب هنا وهناك ، لاشك أن دهمنى
النوم عدة مرات ، وأخيرا ظهر بصيص من الضوء
الخافت فى السماء الشرقية كأنه انعكاس لنار لا لون
لها ، وبان القمر نحيفا شاحبا لأنه يقترب من المحاق
ومن ورائه انبثق ضوء الفجر ، شاحبا فى أول الأمر ،
ثم أخذ يزداد احمرارا ودفئا .

لم يقترب منا أحد من « المورلوك » .. وفي الحقيقة لم أر منهم أحدا على التل في تلك الليلة ، وأحسست بالثقة في ضوء اليوم الجديد فبدت لى مخاوفى بغير أساس ، وقمت واقفا لأجد قدمى متورمة وتؤلمنى بشدة ، فجلست مرة أخرى وخلعت حدائى وألقيت به بعيدا .

أيقظت « وينا » وهبطنا الى الغابة ، وقد صارت الآن خضراء سارة بعد أن كانت سوداء مخيفة ، وجمعنا بعض الفاكهة لنأكلها كإفطار ، ولم نلبث أن قابلنا أناسا صفارا آخرين يضحكون ويرقصون فى ضوء الشمس ، كما لو لم يكن هناك شىء يسمى الليل ، وعندئذ فكرت مرة أخرى فى اللحم الذى رأيتة ، وتأكدت الآن ماذا كان فى الواقع ، وشعرت بالشفقة فى أعماق قلبى على هذا الجدول الضعيف الأخير الذى تخلف عن فيضان البشرية الهائل .

من الواضح انه فى زمن ما من انهيار البشرية الطويل أخذ الطعام ينقص لدى « المورلوك » .. ومن

المحتمل أن يكونوا قد عاشوا زمنا على الفئران
وأمثالها من الحيوانات ، ان الانسان حتى في زمننا
هذا أصبح أقل اعتناء في اختيار طعامه من أى قرد ،
ونفوره من اللحم البشرى ليس متأصلا في ذهنه ،
كما بالك باحفاده هؤلاء غير الانسانيين ؟ وحاولت أن
أنظر الى الموضوع بروح علمية ، لماذا اتعب نفسى ؟ . .
ان هؤلاء « الابلوا » مجرد ماشية يرببها هؤلاء
« المورلوك » من أجل أن يستخدموها كطعام ، كما
نستخدم نحن الماشية والغنم . . وها هي « وينا »
ترقص الى جانبي !

ثم حاولت أن أنظر الى الأمر كعقوبة على الأنانية
البشرية ، لقد عاش أجداد الناس الصفاذ في سر على
حساب اخوانهم في البشرية ، والآن انقلبت الآية
ويعيش هؤلاء الاخوان عليهم ، وحاولت أن أجعل نفسى
تشعر بالاحتقار لنبالتهم اليائسة التى دخلت مرحلة
الكساد ، ولكنى لم أستطع ، فمهما كان التدهور الذى
الم بدكائهم لايزال جنس « الابلوا » يحتفظ بالكثير

من الشكل الانساني ، فشعرت بالأسف من اجلهم ، بل شعرت اننى شخصيا اشاركهم فى عارهم .
فى ذلك الوقت لم تكن لدى فكرة واضحة عن خطئى ، كان اول مطلب لى أن أجد مكانا آمنا اختبئ فيه وأصنع لنفسى بعض الأسلحة من المعدن أو الأحجار .. هذه هى الضرورة الأولية .

وفى المرتبة الثانية على أن أعثر على طريقة لاشعال النار وبذلك أحصل على السلاح الماضى الذى يرغب « المورلوك » .. وبعد ذلك على أن أجد طريقة لكسر أبواب القاعدة البرونزية تحت تمثال أبى الهول الأبيض . كانت لدى عقيدة فى اننى اذا اقتحمت هذه الأبواب حاملا شعلة مضيئة معى سوف أعثر على آلة الزمن وأهرب بها فورا ، فمن المؤكد أن « المورلوك » ليسوا من القوة بحيث يستطيعون تحريكها بعيدا ، وقررت أن آخذ « وينا » معى الى عصرنا الحاضر .. كانت هذه الأفكار تعتمل فى راسى وأنا أشق طريقى نحو البناء الذى تصورت أن يكون منزلنا الخاص .

(١١) القصر الأخضر

اقتربنا من القصر الأخضر ساعة الظهر ، كان
كان قصرا مهجورا متهدما ، سقط معظم الزجاج من
نوافذه ولم يتبق سوى القليل ، كما سقطت أجزاء
خضراء كبيرة من واجهته المعدنية ، وعلى واجهة
القصر وجدت كتابة بحروف غير معروفة ، فكرت ،
لحماقتي ، أن « وينا » يمكن أن تساعدني في
قراءتها ، ولكنني تبينت أن مجرد فكرة القراءة لم
تطف بخيالها ، مع أنها كانت تبدو لي ، في مخيلتي ،
أكثر اقترابا من البشرية مما هي عليه في الواقع ،
ولكن ربما يرجع ذلك الى أن مجيئها كانت انسانية .

كان الباب مفتوحا على اتساعه ومخلوعا ، وفي
الداخل غرفة متسعة طويلة تنيرها النوافذ الكثيرة على
الجانبين ، لأول وهلة تخيلت أنه متحف ، أما أرضيته
فكانت مغطاة بالتراب الكثيف وثة مجموعات غريبة
من أشياء مختلفة مغطاة بالتراب الذي يبدو عليها
كالملاء الثقيلة ، ثم رأيت في منتصف القاعة ما بدا لي
بوضوح وكأنه الجزء الأسفل من هيكل عظمى ضخم ،
وتبينت أنه هيكل « ميجاثريوم » (من مخلوقات ما قبل
التاريخ قبل ظهور الانسان بالآلاف السنين) . . وقد
سقطت الى جانبه الرأس والعظام العليا في التراب
الكثيف ولى الهيكل بأكمله نتيجة فيما يبدو لتساقط
ماء المطر عليه من فجوة في السقف ، وعلى مقربة
منه وجدت هيكلًا ضخما آخر « للبرونتوسورس »
(من حيوانات ما قبل التاريخ) . . اذن كانت فكرتي
عن ان المكان متحف صحيحة ، وذهبت الى جانب
الحائط فوجدت رفافا مغطاة بالتراب الكثيف وعليها
قوارير زجاجية من النوع المألوف في زمننا ، ويبدو

أنها كانت محكمة الاغلاق لأن محتوياتها محفوظة في حالة جيدة .

لاشك اننا في جزء من المتحف يختص بالتاريخ المبكر للحياة القديمة على الأرض ، هنا وهناك رأيت أشياء أخذت من القوارير وحطمت الى أجزاء صغيرة مربوطة بقطعة من الخيط ، علامة على أن الناس الصغار كانوا يلعبون هنا ، كما أن بعض القوارير اختفت وتركت مكانها شاغرا - لابد أن « المورلوك » هم الذين أخذوها . وجعل التراب الكثيف وقع أقدامنا غير مسموع ، وأخذت « وينا » بيدي وراحت تحمق في وهي تقف الى جانبي .

ونظرا لضخامة القصر تأكدت أنه يحوى غرفا وممرات كثيرة لاهذه القاعة وحدها ، ربما كانت غرفا تحوى أشياء تاريخية ، بل ربما مكتبة ، وهذا ما بدا لى محببا أكثر من هذه القاعة الكبيرة بعظامها القديمة ، ثم وجدت ممرا قصيرا امامى يبدو أنه كان مخصصا للمعادن ، ووجدت فيه كتلة من « السلفور »

(الكبريت) جعلتني أفكر في البارود .. ولكنى لم أجد « سالتبيتر » (السلفور والسالتبيتر يستخدمان في صناعة المفرقات) .. ومع ذلك علق « السلفور » في ذهني وجعلني أفكر في أشياء كثيرة ولكن لما كنت غير متخصص في المعادن لذلك فقد غادرت هذا المر سريعا ودخلت الى قاعة أخرى متهدمة توازى القاعة الأولى .

هذه القاعة الثانية كانت مخصصة للتاريخ الطبيعي (النباتات والطيور والحيوانات ... الخ) ولكن كل ما فيها مضى عليه زمن طويل حتى صار غير معروف ، إذ لم أجد سوى بعض البقايا الجافة السوداء التي كانت في الأصل حيوانات ، وكذلك بعض الأتربة ذات اللون البني التي كانت في الأصل نباتات ، هذا كل شيء !

ثم دخلنا قاعة أخرى هائلة الحجم ولكن الضوء فيها ضعيف ، كانت أرضية هذه القاعة تنحدر بزواية بسيطة من نهايتها حيث دخلت ، وكانت هناك

صاييح زجاجية بيضاء مدلاة من السقف أغلبها مهشم ومكسور ، وعلى الجانبين آلات ضخمة علاها الصدا وكثير منها مكسور ، ولكن بعضها لا يزال سليما بدرجة طيبة ، انتم تعرفون ضعفى ازاء الآلات ، وأردت أن أبقي بين هذه الأشياء .. لم يكن في مقدورى إلا أن أخمن من بعيد : ترى ما هى هذه الآلات ؟ ..

وتصورت انى اذا استطعت أن أجد اجابة لما يحيرنى فقد تصبح فى حوزتى قوى تمكننى من مواجهه « المورلوك »

فجأة اقتربت « وينا » الى جوارى ، فعلت ذلك بطريقة مفاجئة ادهشتنى ، ولو لم تكن قد فعلت ذلك لما كنت قد لاحظت أن أرضية القاعة تنحدر بشدة ، كان الطرف الذى دخلت منه فوق مستوى الأرض ، ومضاء بالنوافذ الضيقة من الجانبين ، وكلما مضيت قدما تبتعد النوافذ عن الأرض حتى تصبح

مجرد فتحة صغيرة ينبعث منها خيط ضئيل من ضوء النهار .. وكنت أمضى ببطء منحدرًا أفكر في أمر الآلات .. وبلغ من اهتمامي بها أنني لم ألاحظ التضائل التدريجي في الضوء ، ثم رأيت القاعة تنغمس أخيرا في الظلام الدامس .

نظرت حولى لأجد أن التراب صار أقل سمكا وثمة علامات أقدام صغيرة تبدو مرتسمة على السطح الترابي المجاور للظلام ، ذهب تفكيرى على الفور إلى « المورلوك » .. وشعرت أنني أبدد وقتى في فحص هذه الآلات ، وتذكرت أن المساء يقترب ولازلت لا أجد سلاحا ولا مكانا آمنا اختبئ فيه ولا وسيلة لاشعال النار . وفجأة تناهت الى من أسفل حيث الظلام الدامس دممة غريبة ، نفس الأصوات الغريبة التي سمعتها في البئر .

أمسكت بيد « وينا » ، ثم جاءتني فكرة مفاجئة فتركت يدها على الفور ، واتجهت الى آلة قريبة ينبعث منها قضيب طويل من الحديد ، وضعدت على

الآلة وأمسكت قطعة الحديد المستطيلة بكتلا يدي
واتكأت عليها بكل قوتي . . وفجأة وجدت « وينا »
التي تقف وحيدة في وسط المر ، تجهش بالبكاء ،
وبعد دقيقة من المحاولة انكسر القضيب الحديدي
وعدت الى « وينا » خاملا في يدي سلاحا اعتقد انه
كاف لتهشيم رأس أي « مورلوك » . . كنت في غاية
الشوق لأن أقتل أحد هؤلاء « المورلوك » .

حسنا ، أمسكت سلاحى في يد و « وينا » في
اليد الأخرى وخرجت من القاعة المنحدرة الى قاعة
أخرى لا تقل اتساعا منها . ولأول وهلة تخيلت اننى
في كنيسة تابعة للجيش معلقة فيها الأعلام ، ولكنى
لم البت أن تبينت حقيقة هذه الهلاهيل الكالحة
المتدللية على الجدران ، كانت بقايا مهترئة لكتب أتى
عليها البلى ومزقتها تمزيقا ، لو كنت اشتغل بالكتابة
كان لأبد أن أفكر في عدم جدوى أى أمل في الشهرة
ولكن الفكرة التي صدمتنى أكثر هي مدى الجهد
الهائل الذي بذل في هذا العمل الذي أصبح الآن مجرد
أوراق مهترئة !

ثم صعدت على درج عريض ومعى « وينا » . .
ودخلنا فيما يشبه قاعة للكيمياء ، فراودنى الأمل فى
أن أعثر على مكتشفات نافعة ، كانت القاعة سليمة
الى حد كبير الا فى مكان واحد تساقط فيه السقف ،
وأخذت أفتش بشغف فى كل صندوق سليم ، وأخيرا
عثرت فى احد الصناديق المحكمة الاغلاق على علبة
كبريت ، جربت عودا منها ، فوجدتها سليمة تماما لم
تمسها الرطوبة ، فالتفت الى « وينا » وقلت لها
بلفتها : « ارقصى » فالآن عثرت على السلاح الفعال
الذى يرعب المخلوقات الكريهة التى نخافها ، ورحت
فى هذا المتحف القديم المهجور وعلى السجادة الترابية
الناعمة ولسرور « وينا » وابتهاجها العظيم ، أرقص
وأصفر نغمة بهيجة بقمى !

لقد كان من الغريب جدا ولحسن حظى الشديد
أن تنجو هذه العلبة من الكبريت من غوائل الزمن كل
هذه السنوات الطويلة ، ثم لدهشتى مرة أخرى
عثرت على مادة أخرى غير متوقعة ، هى مادة
« الكمفور » (وهى مادة بيضاء تشبه الزجاج لها

رائحة قوية لحماية الملابس من الحشرات) .. وجدتها
في آنية مغلقة ، تصورت أولا انها مادة الشمع ،
ولكنى عندما كسرت الأنية الزجاجية شممت رائحة
« الكمفور » القوية التي لا يمكن أن يخطئها الشم ..
وكنت على وشك أن ألقى بها بعيدا حين تذكرت أن
« الكمفور » يشتعل أيضا بلهب قوى ، انه في الواقع
شمع ممتاز ، فوضعتها في جيبى ، ولكنى لم أشر في
الصالة على مفرقات ولا على أى وسيلة لتحطيم
الأبواب البرونزية ، لايزال القضيب الحديدى هو
أمضى سلاح عثرت عليه ، ثم غادرت القاعة وأنا أشعر
بمزيد من السعادة !

لن أستطيع أن أحكى لكم كل ما حدث في ذلك
اليوم الطويل ، ولكنى أذكر أننى دخلت قاعة طويلة
بها أسلحة علاها الصدا ، وتحيرت هل أظل محتفظا
بالقضيب الحديدى أم استبدل به فأسا أو سيفا
مما أرى أمامى ، فانا لا أستطيع أن احتفظ بالاثنين
معا ، ثم فكرت في أن القضيب الحديدى سيكون أكثر

تفعا في التعامل مع الأبواب البرونزية . كان أمامي عدد من الأسلحة ، بنادق ومسدسات ، معظمها علاها الصدا ولكن بعضها مازال جديدا وفي حالة طيبة ، غير أن الطلقات أو الرصاصات التي تستخدم فيها تحولت الى تراب ، ورأيت في أحد الأركان آثار حريق وتدمير ، ربما يكون قد حدث انفجار في بعض هذه الأشياء .

ومع اقتراب المساء قل اهتمامي بالمتحف ، فمضيت من قاعة الى قاعة بين التراب والصمت والدمار . وفي أحد الأماكن رأيتني فجأة بالقرب من نموذج يشبه اللغم ثم اكتشفت بالصدفة البحتة أصبعين من الديناميت في علبة مغلقة **فصحت قائلا :** « أخيرا عثرت على ما أريد » .. وكسرت العلبة بفرح بالغ ، ثم جاءني الشك ، فذهبت الى غرفة جانبية صغيرة وأجريت التجربة ، شعرت بخيبة أمل كبرى وأنا انتظر خمسا وعشرة دقيقة أن يحدث الانفجار ، ولكنه لم يحدث ، ربما لم تكن هذه المادة ديناميت حقا ، آه لو كانت ديناميت لكنت قد سارعت بنسف الأبواب البرونزية لتمثال أبي

الهول ، وكان قد تجدد املى فى العثور على آلة الزمن .

أخيرا خرجنا الى فناء صغير مفتوح داخل القصر ، كانت تنمو فيه الحشائش وثلاث أشجار إفاكهة ، فجلسنا لناخذ قدرا من الراحة ونعشر انفسنا ، ومع اقتراب الغروب رحت أفكر فى موقفى . . ان الليل يزحف علينا ، ولم اجد بعد مكانا آمنا انام فيه ، ولكن ذلك لم يعد يقلقنى كثيرا الآن ، لقد أصبح عندى السلاح الذى يرهبه « المورلوك » بشدة : الكبريت ، ولدى « الكمفور » فى جيبى ، كذلك ، اذا احتجت لشعلة كبيرة . وبدا لى أن أحسن شىء يمكن أن تفعله أن نقضى الليل فى العراء تحمينا شعلة من النار . . وفى الصباح ستكون هناك مهمة استرجاع آلة الزمن ، حقا ليس معى سوى قطعة الحديد ولكن ربما تكون الأبواب البرونزية أضعف مما أتصور ، فانا لم أجرب كسرها بعد ، ربما خوفا مما قد يكون مختبئا وراءها . . ربما تكون غير سميكة جدا وأمل أن يكون القضيب الحديدى ملائما للتعامل معها .

(١٢) معركة مع « المورلوك »

غادرنا القصر الأخضر بينما كانت الشمس لاتزال فوق الأفق ، وكنت مصمما على أن أصل الى أبى الهول الأبيض، فى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى ، وهذا يقتضى أن اخترق الغابة التى أوقفتنى فى رحلة الحضور قبل غروب الشمس ، وأن أعمل نارا ونام فى حماية ضوئها ، ولذا أخذت أجمع فى مسيرى الفروع والحشائش الجافة ، وسرعان ما وجدت ذراعى تنوعان بحملهما من هذه النباتات ، مما جعلنا تقدمنا أبطأ مما كنت اتوقع ، علاوة على أن « وينا » كانت متعبة . وبدأت انا أعانى من رغبة شديدة فى

النوم ؛ ولذا حل علينا الظلام قبل أن نصل الى الغابة . وعند حافة الغابة توقفت « وينا » خوفا من الظلام المنتشر امامنا ، وانتابني شعور بالخطر بدلا من أن يدفعني الى التروى دفعنى الى الأمام ، وكنت قد ظللت بدون نوم يومين وليلة وصرت أشعر أن النوم يهاجمنى . . ومع « المورلوك » يهاجمون أيضا .

وبينما كنا ننتظر على حافة الغابة رأيت ثلاثة أشكال معتمة بين الأعشاب وزاءنا ، كانت هذه الأعشاب طويلة تحيط بنا من كل جانب ولم أشعر بالاطمئنان لظهورهم المفاجيء . كانت الغابة على بعد أقل من ميل أمامنا ، وإذا استطعنا أن نقطعها ووصلنا الى حافة التل القاحلة لوصلنا ، كما تصورت ، الى مكان أكثر أمنا نحصل فيه على شيء من الراحة . وفكرت اننى أستطيع بمعاونة أعواد الثقاب و « الكمفور » أن أشق طريقى في الغابة ، ومع ذلك كان من الواضح أنه يتعين على إذا أردت أن استخدم الثقاب بيدي الاثنين أن ألقى بالحطب الذى جمعته لاشعال النار ،

وهذا ما فعلته مترددا ، ثم فكرت في أن في امكانى
أن أذهل أصدقاءنا من ورائى باشعال النار فى الحطب
وقد اكتشفت فيما بعد حماقة هذا العمل الذى
تصورت أنه خطوة ذكية لتغطية انسحابنا .

كم تبدو النار نادرة وغريبة فى غياب الانسان . .
وفى مثل هذه البلاد الباردة ، ان أشعة الشمس
لا يمكن أن تصل من القوة الى درجة اشعال النار ،
والبرق قد يسود الأشياء ولكنه لا يمكن أن يطلق
اللهب ، والحشائش الجافة يمكن أحيانا أن ترتفع
سخونتها ولكنها نادرا ما تشتعل ، وفى هذا العالم
الذى يعيش فيه الناس الصغار فن اشعال النار
قد نسي تماما ، ولذا عندما أشعلت النار فى كومة
الحطب التى كنت أحملها وارتفعت منها الألسنة
الحمراء بدا الأمر غريبا وجديدا تماما بالنسبة
« لوينا » .

كانت تريد أن تجرى الى النار وتلعب معها ،

واعتقد اننى لو لم أمسك بها لألقت بنفسها فى النار
ولكنى أمسكت بها واقتحمت الغاية وأنا أحملها وهى
تقاوم بشدة ، كان ضوء النار التى أشعلتها ينير لى
الطريق الى مسافة ما ، وعندما نظرت الى الخلف
وجدت ان النار انتشرت فى بعض الحشائش الجافة
المجاورة وبدأت تمتد صوب التل ، فضحكت لذلك
وحولت وجهتى مرة أخرى صوب الأشجار المعتمة
أمامى ، كان الظلام شديدا و « وينا » تتعلق بـرقتى
بشدة ، ولكن عيني تعودتا على الظلام واستطعت أن
أبين طريقى الى حد ما .

كان الظلام الدامس يكتنفنا من كل اتجاه فيما
عدا ثغرة من السماء الزرقاء البعيدة تلمع فوق رأسينا
هنا وهناك ولم أستطع أن أشعل شيئا من أعواد
الكبريت لأن يدي كانتا مشغولتين ، على الذراع الأيسر
أحمل « وينا » الصغيرة ويدي اليمنى أمسك
القضيب الحديدى .

قطعت مسافة ما فى الغابة دون أن اسمع شيئا
سوى تهشم الحشائش الجافة تحت قدمى ، وهمسات

الريح الخافتة من فوقى ، وصوت أنفاسى وخفقات
قلبى فى شرايين أذنى ، ثم لم ألبث أن تبينت ما يشبه
الهمهمة حولى ، فمضيت فى طريقى مسرعا ، ولكن
الهمهمة ازدادت وضوحا وتبينت فيها نفس الأصوات
التي سمعتها فى عالم ما تحت الأرض . . ورأيت عددا
من « المورلوك » يقتربون منى ، وفى الدقيقة التالية
أحسست بمن يشد معطفى ، ثم بمن يجذبنى من
ذراعى . أما « وينا » فكانت ترتجف وتحولت الى
ما يشبه الكتلة الهامدة .



كان « المورلوك » يقتربون ويحيطون بى من كل
جانب ، لقد حان الوقت لاشعال عود من الثقاب ولكن
كنى أفعال ذلك على أن أضع « وينا » أرضا ، وهو
ما فعلته ، وبينما كنت أضع يدي فى جيبى بحثا عن
علبة الكبريت شعرت بأيدى « المورلوك » الناعمة
الصغيرة تتحسس معطفى وظهري وتلمس عنقى . .
حككت عود الثقاب ، فاندلعت الشعلة ورفعتها عاليا ،

فرأيت ظهور « المورلوك » البيضساء وهى تفر بين الأشجار فأخرجت بسرعة قبضة من « الكمفور » من جيبى لأشعلها حين يوشك لهب الثقاب حلى الانطفاء ، ثم نظرت الى « وينا » ، كانت ترقد بلا حراك على الأرض . . اندفعت ناحيتها ، بدت كأن انفاسها تكاد تتوقف ، وأشعلت كتلة « الكمفور » وألقيت بها على الأرض فانكسرت وانبعث منها ضوء وهاج طرد « المورلوك » بعيدا هم وخيالهم ، وعندئذ انحنيت والتقطت « وينا » .

كانت الغابة من ورائى مليئة بالحركة والمهممات مما يدل على وجود عدد كبير جدا من « المورلوك » !

يبدو أن « وينا » كانت قد اغمى عليها ، حملتها برفق على كتفى وبدأت أمضى فى طريقى ، وعندئذ تحققت من أمر مرعب ، يبدو اننى فى انشغالى بالكبريت و « الكمفور » دزت حول نفسى عدة مرات ، ولم تعد لدى الآن فكرة عن اتجاهى ، لقد فقدت الطريق ! ربما كنت اتجه مرة أخرى الى القصر الأخضر ،

شعرت بالخوف يتملكنى ، وكان على أن أقرر بسرعة
ماذا أفعل ، فقررت أن أشعل ناراً وأعسكر في هذا
المكان حتى الصباح ، فوضعت « وينا » على الأرض
وهي لاتزال بلا حراك ، ومضيت أجمع الحشائش
والفروع الجافة وكنت أرى عيون « المورلوك » تلتمع
من حولى فى الظلام كالجواهر .

ظل « الكمفور » مشتعلا بعض الوقت ثم انطفأ
فأشعلت عودا من الثياب ، وبينما كنت أفعل ذلك رأيت
اثنين من « المورلوك » كانا يقتربان من « وينا »
يوليان الفرار ، وأحدهما أعماه الضوء فاندفع نحوى
وشعرت بعظامه تتحطم تحت قبضة يدي فنددت عنه
صيحة ألم ، واندفع الى الخلف قليلا ، ثم سقط على
الأرض بلا حراك .

أشعلت قطعة أخرى من « الكمفور » ومضيت
أجمع الحشائش والحطب ، وسرعان ما لاحظت أن
أوراق الأشجار فوق راسى جافة تماما إذ لم تكن

الأمطار قد هطلت منذ وصولي بألة الزمن من حوالى أسبوع ، ولذا توقفت عن البحث من حولى عن الفروع الساقطة وبدأت أقفز الى اعلا واجذب فروع الأشجار، وسرعان ما تمكنت من اشعال نار ذات دخان فى هذه الفروع الجافة ووفرت بذلك استخدام « الكمفور » .

ثم التفت الى « وينا » حيث ترقد الى جانب القضيب الحديدى ، وبذلت ما فى وسعى لمساعدتها ، ولكنها كانت ملقاة كالجثة الهامدة ، ولم يكن حتى فى مقدورى أن اتبين ما اذا كانت تتنفس أم قطمت النفس نهائيا .

أخذ الدخان المنبعث من النار يهب فى اتجاهى ويصيبنى برغبة شديدة فى النوم ، كما أن رائحة « الكمفور » كانت تملأ الجو ، والنار التى أشعلتها يمكن أن تستمر مشتعلة مدة ساعة دون حاجة لزيد من الحطب ، كما كنت أشعر بالتعب الشديد بعد جهودى المضنية خلال الفترة الماضية ، فجلست أنصت لهمسات الغابة التى بدأت لى أشبهه بوشوشة تدعونى للنوم .

أخذتني بالفعل سنة من النوم ثم فتحت عيني ،
كان الظلام يخيم على المكان وشعرت « بالمورلوك » من
حولى يتحسسوننى بأيديهم الطرية ، فدفعت عنى
أصابعهم الباردة ورحت أبحث فى جيوبى عن صندوق
الكبريت ، فاذا به قد اختفى ! ثم اطبقوا على وامسكوا
بى مرة أخرى ، وفى لحظة واحدة تبينت ما حدث . .
لقد نمت وانطفأت النار التى أشعلتها وسرقوا منى
صندوق الكبريت !

أحسست فى حلقى بمرارة الموت ، وكانت الغابة
ملأى برائحة الحطب المحترق ، وامسكوا بى هؤلاء
« المورلوك » من الرقبة والشعر والذراعين ، وطرحونى
أرضا ، كان شيئا مرعبا للغاية أن تشعر بتلك المخلوقات
الناعمة متكومة فوقك ، أحسست كما لو كنت فى بيت
عنكبوت ملقى بلا حراك وأسنانهم الصغيرة تقرض فى
عنقى ، أخذت اندحرج على الأرض وبينما كنت أفعل
ذلك عثرت يدي على القضيب الحديدى ، فأعطانى
نفحة من القوة وقاومت كى أقف وأنا أثر هذه

الفئران البشرية بعيدا عني ، وامسكت بالقضيب
الحديدي ورحت أضرب به وجوههم ، وكان في
استطاعتي أن احس بلحمهم وعظامهم تنسحق تحت
ضرباتي ، وهكذا استطعت أن اتحرر من قبضتهم !

* * *

امتلكني نوع من الفرح الغريب الذي يبدو انه
يصاحب دائما الانتصار في قتال شاق ، كنت اعلم
انني و « وينا » قد ضعنا ، ولكنني صممت أن اجعل
« المورلوك » يدفعون ثمنا باهظا لوجبتهم من لحمنا .

وقفت جاعلا ظهري الى جذع شجرة وأخذت
أطوح بالقضيب الحديدي في نصف دائرة امامي ،
سمعت صيحاتهم تملأ كل الغابة ، ومرت دقيقة ،
وأخذت صيحاتهم تزداد ارتفاعا ، وحركاتهم تزداد
سرعة ، ولكن أحدا منهم لم يقترب من تناولي ، وفت
أحدق في الظلام ، وفجأة جاءني أمل في أن يكون
« المورلوك » خائفين مني حقا .

عندئذ حدث شيء غريب ، وجدت الظلام قد

بدا ينقشع ورأيت أشباح « المورلوك » من حولي -
وثلاثة منهم طرحى تحت قدمي - والآخرين يفرون في
مجري لا ينقطع قادمين من ورائي ومفتحمين الغابة
أمامي ، ولم تعد ظهورهم تبدو بيضاء وإنما أخذت
اللون الوردى ، وبينما أنا واقف أحرق رأيت
شرارة حمراء صغيرة تنطلق بين الأغصان وتختفى ،
وعندئذ فهمت سبب رائحة الحريق ، والمهممات
الآتية من الخلف ، والوهج الأحمر ، وفرار
« المورلوك » .

تقدمت خطوة من وراء شجرتي ونظرت الى
الخلف فראيت من خلال الجذوع السوداء للأشجار
القريبة السنة هائلة من اللهب تتصاعد من أشجار
الغابة المحترقة ، انه حريقى الأول الذى أشعلته
يطاردنى الآن .

وبحثت عن « وينا » فلم أجدها ، كانت قد
اختفت !

كانت أصوات الفروع وهى تتكسر والانفجارات

المكتومة لكل شجرة جديدة يحتويها اللهب ، لا تترك
لى وقتا للتفكير ، فاندفعت أجرى فى طريق « المورلوك »
وقطعة الحديد فى يدى ، وكان سباقا لعينا بينى وبين
النيران ، وحدث أن زحفت النيران بسرعة عن يمينى
فانحرفت فى جهة اليسار ، وأخيرا وصلت الى ساحة
صغيرة مفتوحة . وبينما كنت أفعل ذلك رأيت
« المورلوك » يندفعون فى اتجاهى ، ويتجاوزونى ،
ويتساقطون فى النار واحدا بعد الآخر !

ظللت طيلة معظم تلك الليلة أمنى نفسى بأن
الأمر لا يبدو أن يكون حلما مزعجا ، ورحت أعض
نفسى وأصرخ لعلنى استيقظ من النوم ، وضربت
الأرض بيدي ، ووقفت ، وجلست ، وتجولت هنا
وهناك ثم جلست مرة أخرى ، ثم أخذت أفرك عيني
وأتوسل الى الله أن يجعلنى أستيقظ ، وشاهدت
ما لا يقل عن ثلاثة من « المورك » يحنون رؤوسهم
فى يأس مجنون ويندفعون الى اللهب ، ولكن أخيرا ،
فوق حمرة النار الخائبة ، وفوق كتل الدخان

الأسود واعداد « المورلوك » المتناقصة رأيت ضوء
الفجر ينبلج في السماء .

رحت أبحث مرة أخرى عن أى أثر « لوينا » . .
ولكنى لم أعثر لها عن أثر ، من الواضح انهم تركوا
جسدها الصغير المسكين في الغابة ، وشعرت بارتياح
لنجاتها من المصير المخيف الذى كان ينتظرها وعندما
فكرت في ذلك انتابتنى رغبة في أن أقتل أى « مورلوك »
مسكين أجده في طريقى ، ولكنى سيطرت على نفسى .

كان التل بمثابة جزيرة انقاذ في تلك الغابة ،
فعندما اعتليت قمته استطعت أن أرى القصر الأخضر
بين سحب الدخان واستطعت بذلك أن أحدد طريقى
نحو ابنى الهول الأبيض ، فربطت بعض الحشائش
حول قدمى واندفعت فوق الرماد الذى ينبعث منه
الدخان وبين جذوع الأشجار المسودة في اتجاه المكان
الذى تختبئ فيه آلة الزمن ، كنت أمشى في بطاء
لأن قوتى انهارت وقدمى تؤلمانى بشدة ، وشعرت
بالبؤس الشديد للميتة الشنيعة التى لقيتها « وينا »
الصغيرة .

والآن ، فى هذه الغرفة المألوفة العتيقة ،
أشعر كأن الأمر كان حلما يدعو للأسى أكثر من كونه
خسارة حقيقية ، ولكنى فى ذلك الصباح كنت أشعر
بالوحدة المطلقة القاتلة ، ورحت أفكر فى منزلى ، وفى
مدفأتى ، وفى بعض أصدقائى ، وكدت أبكى شوقا
فى العودة الى منزلى مرة أخرى .

ولكن ، بينما كنت أمشى فوق الحشائش
المحترقة تحت السماء التى بدأت تستنير بضوء الفجر
اكتشفت انه لا تزال فى جيبى بضعة أعواد من الكبريت
السائبة ، لابد انها سقطت من العلبة قبل أن تضيع .

(١٣) العثور على آلة الزمن

كانت الساعة قد بلغتِ الثامنة أو التاسعة صباحا عندما عدت الى نفس المكان الذى طالعت فيه هذا العالم فى تلك الأمسية التى وصلت فيها ، وضحكت بمرارة على ما شعرت به عندئذ من الثقة الزائفة ، ها أنا أرى الآن نفس المنظر الجميل . . نفس الأشجار ، نفس القصور الرائعة والأطلال العظيمة نفس النهر الفضى يجرى بين الضفتين الخضراوين ، وكان الناس الصغار فى ملابسهم البهيجة يجيئون ويروحون بين الأشجار . . وكان بعضهم يستحم فى

نفس المكان الذى أتقلت منه « وينا » من الفرق ،
وشعرت فجأة بطمئة من الألم لتلك الذكرى .

ورأيت كذلك نفس القباب القبيحة التى تغطى
الآبار المؤدية الى العالم السفلى ، لقد عرفت الآن
ما الذى يخفيه جمال هذا العالم العلوى ، ان الناس
العلويين يقضون يومهم فى مسرة وسعادة مثل الماشية
فى الحقول ، وكالماشية أيضا لا يعرفون شيئا عن
اعدائهم ولا يقلقون بسبب الحاجة ، حتى يواجهوا
مصيرهم المحتوم .

أحزنتنى أن أفكر فى مدى قصر الحلم بالدكاء
البشرى ، لقد كان هدفه تحقيق الراحة والسهولة ،
والوصول الى مجتمع كل هدفه السهولة والأمن ،
وأمكن تحقيق ذلك فى النهاية ! .. فى وقت ما وصلت
الحياة والثروة الى الأمان التام ، الغنى واثق من
ثروته وراحته ، والفقير واثق من حياته وعمله ،
لاشك أنه فى مثل هذا العالم المطمئن لم تكن هناك

مشكلة بطالة ، ولا أى مشكلة اجتماعية أخرى ، وأدى ذلك الى مرحلة من الهدوء العظيم .

ولكن ذلك أدى الى انتهاك قانون هام من قوانين الطبيعة ، ان التغير والخطر والمعاناة تبدو لنا شرورا يجب تجنبها ، ولكن التغير والخطر والمعاناة هى الأشياء التى تحافظ على الذكاء البشرى حيا وماضيا . . ان الحيوان الذى يناسب بيئته تماما وينحيا فى توافق تام معها هو مجرد آلة جيدة ، ليست به حاجة الى التفكير ، فالفكر والذكاء تمس الحاجة اليهما عندما تضطرب الأمور ، أى عندما يكون هناك تغير وخطر ومتاعب ، لهذا هو الوقت الذى تبدو فيه الحاجة الى الذكاء ، ولذا فالحيوانات الوحيدة التى تحتاج الى الذكاء هى التى تواجه قدرا كبيرا من الحاجات والتغيرات .

وهكذا أصبح انسان العالم العلوى ضعيفا وجميلا وانسان العالم السفلى مجرد عامل آلى . . ولكن ذلك لم يستمر طويلا ، ففى وقت ما انهار النظام الغذائى

لسكان العالم السفلى ، ولم يعد في امكانهم الحصول على اللحوم فاتجهوا الى اللحم البشرى الذى كان محرما حتى ذلك الوقت بحكم العادة والقانون .

وهكذا بدت لى الامور فى عام ٨٠٢٧٠١ .



وبعد المجهودات والتوتر والرعب فى الايام الماضية وبالرغم من حزنى على فقد « وينا » وجدت المكان سارا للغاية بسبب المنظر ودفء الشمس ، وكنت فى غاية التعب والاجهاد ، فالتقيت نفسى على الحشائش ورحت فى نوم طويل منعش .

استيقظت قبل غروب الشمس بقليل .. اننى اشعر الآن بانى فى مأمن من « المورلوك » ، فنهضت وهبطت حافة التل فى اتجاه ابي الهول الابيض ، وكنت امسك بالقضيب الحديدى فى يد واعبث باليد الأخرى فى اعواد الكيريت فى جيبى .

ولم البت أن وجدت ما لم أكن أتوقعه إطلاقاً ،
فعندما اقتربت من قاعدة أبي الهول ، وجدت الأبواب
البرونزية مفتوحة .

توقفت على مسافة قليلة منها ، وظللت لحظة
متردداً في الدخول .

رأيت في الداخل غرفة صغيرة ، وعلى مكان
مرتفع في أحد أركانها تقبع آلة الزمن ، كانت مقابض
التشفيل في جيبي ، وتصورت أنني بعد تفكيري
الدقيق في الهجوم المحتمل ها أنذ أجدهم قد
استسلموا فجأة فألقيت بالقضيب الحديدي بعيداً ،
وليتنى لم أفعل !

لمعت في راسي فكرة مفاجئة وأنا انحنى لأدخل
الباب ، خيل إلى أنني فهمت طريقة « المورلوك » في
التفكير وأحسست برغبة في الضحك . ولكنني لم أفعل ،
وخطوت داخل الباب البرونزي وصعدت إلى مكان آلة
الزمن ، دهشت إذ وجدت مشحمة جيداً ومنظفة جداً ،

وشككت في أن يكون « المورلوك » قد حاولوا
تفكيكها جزئيا ليعرفوا الغرض منها .

وقفت أفحصها ، وأنا سعيد بمجرد لمسها ،
وفجأة حدث ما كنت أخشاه ، فقد انغلقت الأبواب
البرونزية وصرت محبوسا بالداخل في الظلام ، هكذا
دبر « المورلوك » مكيدتهم .

اننى اسمع الآن همهماتهم وضحكاتهم وهم
يقتربون منى ، حاولت بهدوء شديد أن أشعل عوداً
من الكبريت فقد كان ما على أن أفعل أن اثبت المقابض
في الآلة وأغادر المكان على الفور كالشيخ ، ولكنى نسيت
أن الكبريت من النوع الذى لا يشتعل الا اذا حكته
في الصندوق .

يمكنكم أن تتصوروا كيف زایلنى هدوئى على
الفور ، فقد هاجمتنى المخلوقات الصغيرة ، وأحسست
بواحد منها يلمسنى ، فأخذت أطوح بقبضتى في الظلام
وأعتليت بسرعة مقعد الآلة ، واذا بيد تمسك بى

وتلتها يد أخرى ، فأخذت أضربهم بالمقابض وأبحث في
نفس الوقت عن الأماكن التي أثبتتها فيها . . وكادوا هم
يستخلصون أحد المقابض مني فقد جذبوه وسقط
من يدي فاندفعت في الظلام أبحث عنه ، كان عراقا
أشبه بعراك الغابة .

وأخيرا ثبت المقبض ، وادرت الآلة ، وجدت أيدي
« المورلوك » تبتعد عني ، وانتشع الظلام من عيني ،
ووجدت نفسي في نفس الضوء الرمادي الذي سبق
أن وصفته .

ومرة أخرى أخذت لمحات الضوء والظلام
تتابع وأنا أترجع في الزمن بسرعة آلاف الأيام في الثانية
الواحدة .

(١٤) عودة « مسافر الزمن »

هكذا عدت مرة أخرى الى هذا الزمن ، ولمدة طويلة ظللت ملقى بلا حراك فوق الآلة وأنا أراقب تتابع الليل والنهار ، وأرى الشمس وقد عادت ذهبية ثانية ، وأشاهد السماء وقد عادت زرقاء ، وأخذت أتنفس بحرية أكبر ، ومؤشرات الآلة تتراجع الى الخلف .

وأخيرا شاهدت الظلال المعتمة للبيوت ، وأخذت مظاهر دمار البشرية تختفى تماما وتحل محلها مظاهر الصحة . وأخيرا بعد أن استقر مؤشر الملايين على درجة الصفر ، قلت من سرعة الآلة .

وبدأت اتعرف على مبانيها الصغيرة ، كما استقر
مؤشر الآلاف عند نقطة البدء ، وأخذ الليل والنهار
يتعاقبان في بطء وأخيرا ظهرت حولي حوائط المعمل ،
وضغطت على ذراع الايقاف .

حدث شيء صغير لفت انتباهي ، إذ ذكر أنني
أخبرتكم أنني عندما بدأت تشغيل الآلة في رحلة الذهاب
وقبل أن تأخذ سرعتها أنني رأيت السيدة « واتشيت »
تجتاز الغرفة في سرعة طلقة البندقية . وعند
عودتي مررت ثانية بهذه الدقيقة التي اجتازت فيها
المعمل ولكن حركتها هذه المرة كانت عكسية تماما
بالنسبة للمرة السابقة ، فقد انفتح باب الخروج أولا
وظهرت فيه السيدة « واتشيت » وأخذت تتراجع
بظهرها حتى اختفت وراء الباب الذي دخلت منه .

وعندئذ أوقفت الآلة ، ورأيت حولي مرة أخرى
نفس المعمل المألوف القديم وأدواتي مبعثرة فيه كما
تركتها . . خرجت من الآلة في شدة الإرهاق وجلست
على الكرسي الذي تعودت أن أستريح عليه ، أخذت
ارتجف بضع دقائق ، ثم هدأت .

ها هو معملى القديم حولى مرة أخرى كما
تركته تماما ، ويبدو أن أخذتني سنة من النوم وبدا
لى أن ما حدث كله كان حلما .

ولكن ليس بالضبط تماما ، فان الآلة تحركت من
الركن الجنوبي الشرقى للمعمل ، واستقرت الآن في
الركن الشمالى الشرقى ، وهذه المسافة تساوى تماما
طول الحارة الصغيرة لدى قاعدة أبى الهول الأبيض
التي جر « المورلوك » آلتى فيها !

ظلت زمنا عاجزا عن التفكير ، ثم قمت وسرت
في الممر قادما الى هنا وأنا أمشى متألما لأن قدمى
لا تزالان تؤلماني ، وجدت أن تاريخ اليوم لم يتغير
عندما نظرت في الصحيفة الموجودة على المائدة قرب
الباب ، فنظرت الى ساعة الحائط فوجدت أنها
قاربت على الثامنة ، وسمعت أصواتكم وقعقة
الصحون وقفت مكاني لحظة وأنا أشعر بالمرض
والضعف ثم شممت رائحة لحم شهى ، وفتحت عليكم

الباب ، وانتم تعرفون الباقي ، اغتسلت وتناولت
عشائي وها انا احكى لكم حكايتي !

وواصل الكلام بعد فترة صمت :

اعرف ان كل ما حكته لكم يبدو غير قابل
للتصديق بالمرّة ، بالنسبة لى الشيء الوحيد غير القابل
للتصديق اننى عدت مرة اخرى هذا المساء اتطلع
الى وجوهكم الصديقة واحكى لكم مغامرتى المشيرة .

ونظر الى الطيب وقال :

- لا اتوقع منك ان تصدق ما قلت ، اعتبر
ان الامر كذبة ، قل اننى نمت فى المعمل وحلمت بذلك،
قل اننى تصورت هذه القصة الخيالية من فرط
تفكيرى فى مستقبل البشرية ، اعتبر ان ما قلته مجرد
خدعة لزيادة اهتمامكم ، اعتبرها مجرد قصة ، ماذا
تقول فى ذلك ؟

وامسك بجليونه وراح ينفضه كالمعتاد على
جدران المدفأة ، وسادت فترة من الصمت ، ثم بدأت



وتعاقب الليل والنهار بمنتهى السرعة

الكراسى تتحرك ، رفعت عيني عن وجه « مسافر
الزمن » ورحت أنظر الى الحاضرين .. كان الطبيب
يحملق بثبات في مضيفنا ، ورئيس التحرير زائغ
النظرات يدخن سيجاره .. الساديس ، والصحفي
يتطلع الى ساعته !

قام رئيس التحرير واقفا ووضع يده على كتف
« مسافر الزمن » وقال :

– خسارة انك لا تكتب القصص .

– إلا تصدق ما قلت ؟

– حسنا ..

التفت « مسافر الزمن » نحونا وقال :

– أين الكبريت ؟

وأشعل غليونه قائلا :

– أقول لكم الحقيقة .. اننى نفسى لا أكاد
أصدق ما حدث .. ومع ذلك ..

وسقطت نظراته على الأزهار البيضاء الذابلة
فوق المائدة الصغيرة ، ثم لوى مقبض الغليون ، ورأيت
انه ينظر الى اثر بعض الجروح نصف المتدملة فى
فى أصابعه .

قام الطبيب واقترب من المصباح وأخذ يفحص
الأزهار وقال :

— يا لها من أزهار غريبة ! ..

وانحنى عالم النفس الى الأمام لينظر هو الآخر ،
وأمسك وإجدة منها ليتفحصها جيدا .

وقال الصحفي :

— ان الساعة الآن الواحدة الا ربعا .. كيف
سيتمكننا ان نذهب الى بيوتنا ؟

قال الطبيب :

— يا له من شيء غريب .. بالتأكيد لست أعرف
نوع هذه الأزهار .. لم أر من قبل شيئا يشبهها ..
هل يمكنني ان أخذها ؟

صمت « مسافر الزمن » لحظة ثم صاح فجأة :

— كلا .. بكل تأكيد !

سأله الطبيب :

— من أين جئت بها حقا ؟

وضع « مسافر الزمن » يده على رأسه ،
وتحدث كمن يحاول أن يحتفظ بفكرة توشك أن
تهرب منه وقال :

— هذه الأزهار وضعتها « وينا » في جيبي
عندما سافرت في الزمن !

وداح يتطلع حوله في الحجرة ويتمتم :

— يا له من عبث ! أشعر كأن هذه الحجرة
وأنتم جميعا وكل شؤون الحياة اليومية أكبر مما تسعه
ذاكرتى ، هل صنعت حقا آلة زمن أم مجرد نموذج
لالآلة الزمن ؟ أم هل كان الأمر حلما كله ؟ الناس
تقول أن الحياة حلم .. حلم مزعج في بعض الأحيان ،
من أين تأتي الأحلام ؟ ينبغي أنلقى نظرة على آلة
الزمن .. هذا إذا كانت هناك حقا آلة زمن !

وحمل المصباح وخرج من الباب الى الممر ونحن
نتبعه ، وفي ضوء المصباح شاهدنا الآلة حقيقية تماما ،
ومددت يدي لتحسسها ، وجدت انها صلبة وعليها بقايا
حشائش وطين في اجزائها السفلى واحد قضبانها
ملتسو .

وضع « مسافر الزمن » المصباح على المائدة
وامسك بالقضيب الملتوى في الآلة وقال :

- الأمور واضحة تماما الآن ، ان القصة التي
حكيتها لكم حقيقية ، آسف اننى احضرتكم هنا في
البرد !

وامسك بالمصباح وعدنا صامتين الى غرفة
التدخين .

جاء معنا الى القاعة وساعد رئيس التحرير على
ارتداء معطفه ، ونظر الطبيب في وجهه بشيء من الشك
وقال له انه يعانى من مظاهر الاجهاد فضحك « مسافر
الزمن » ، واتذكر كيف وقف يودعنا عند الباب
ويتمنى لنا ليلة سعيدة .

استأجرت عربية مع رئيس التحرير ، كان يعتقد
أن الحكاية « كذبة رائعة » ، ولم استطع أن أصل
الى نفس القرار ، فقد كانت القصة حقا غريبة
ولا يمكن تصديقها ، ولكنه حكاها بطريقة هادئة
ومعقولة تماما . . !



قضيت معظم الليلة متيقظا أفكر في هذه القصة
الغريبة ، وقررت أن أذهب في اليوم التالي لأرى
« مسافر الزمن » مرة أخرى .

أبلغنى الخادم أنه في المعمل ، ولكونى من
أصدقائه الحميمين ذهبت مباشرة الى المعمل ولكنى
لم أجد « مسافر الزمن » هناك فأخذت اتفحص آلة
الزمن ثم مسست مقبضها فاذا بهذه الكتلة الثقيلة
تهتز كالريشة في مهب الريح .

عدت من المر ، والتقيت « بمسافر الزمن » في
غرفة التدخين ، كان قد أتى من المنزل ، وتحت إبطه
كاميرا صغيرة وحقيبة ، ضحك عندما رأتى وقال :

— يوسفنى اننى مشغول جدا بذلك الشيء الذى
هناك !

قلت :

— لكن هل فى الأمر خدعة ما ؟ هل أنت تسافر
حقا عبر الزمن ؟

قال وهو ينظر فى عينى :

— حقا ، وصدقا ، ما قلته لكم

ثم جال بعينه فى الحجرة وقال :

— يلزمنى نصف ساعة فقط ، اعرف أنك
جئت ، وحسنا فعلت ، توجد هنا بعض الصحف
يمكنك أن تتسلى بقراءتها حتى تحين ساعة الغداء ،
وسوف أثبت لك أن السفر فى الزمن حقيقة ، هل
تسمح لى أن أتركك الآن ؟

وافقت وأنا لا اكاد أفهم بالتحديد معنى كلماته ،
وذهب هو الى الممر ، وسمعت باب المعمل يغلق

فجلست على « الفوتيل » وتناولت صحيفة يومية ،
ترى ما الذى سيفعله قبل وقت الغداء ؟ ثم تذكرت
فجأة وأنا اتطلع الى اعلان فى الصحيفة أن عندى
موعدا مع « ريتشاردسون » الناشر ، فى الساعة
الثانية ظهرا ، ونظرت الى ساعتى ، رأيت أن الوقت
يكاد يكون كافيا لأذهب اليه ، فقميت من مقعدى
وسرت فى المر لأبلغ « مسافر الزمن » أن على أن أرحل
على الفور .

عندما أمسكت بمقبض باب العمل سمعت صيحة
مكتومة وصوت ارتطام ، وهب فى وجهى هواء بارد
عندما فتحت الباب ، وسمعت صوت زجاج ينكسر
ويسقط على الأرض ، لم أجد « مسافر الزمن » فى
العمل وبدا لى كأنى أشاهد شكلا كالشيخ يجلس فى
كتلة مهترزة من النحاس والسواد لمدة دقيقة كان المنظر
شغافا بحيث كان فى مقدورى أن أرى من خلاله
المائدة وعليها صفحات الرسوم بوضوح تام ولكن

هذا الشبح لم يلبث أن اخفى وأنا ادمك عيني ،
ورأيت آلة الزمن قد اخفت فيما عدنا سحابة من
الغياب خلقتها وراءها ، كان المعمل خاليا واحدى
نوافذه مكسورة

شعرت بدهشة غريبة ، اعرف ان شيئا غريبا
قد حدث ، وظللت لمدة دقيقة لا اعرف ماذا يكون ذلك
الشيء ، وبينما انا واقف هناك رأيت الباب المؤدى
الى الحديقة يتفتح ويظهر الخادم .

نظرنا الى بعضنا البعض وسألت الخادم :

— هل خرج السيد .. من هذا الباب ؟

— كلا يا سيدى ، لم يخرج احد من هذا الباب
لقد توقعت ان أجده هنا !

فهمت ما حدث ، وبالرغم من خوفي ان اخيب
رجاء ناشرى قروت البقاء فى انتظار ((مسافر الزمن))
ربما يعود بقصة اكثر غرابة تدعمها الصور

الفوتوجرافية ولكنى أخشى الآن أن يكون على أن انتظر
مدى الحياة ، فكما يعرف الجميع الآن ، لم يعد
« مسافر الزمن » بعد ذلك مطلقا .

اننى لا اتوقف عن التساؤل :

— ترى هل يعود فى يوم من الأيام ؟

ربما يكون قد سافر الى الماضى ، ووقع فى
أيدى رجال العصر الحجرى التوحشين ذوى الشعور
الطويلة شاربى الدماء ، أو ربما يكون قد سقط فريسة
للزواحف الضخمة فى الماضى البعيد ، أم تراه قد
ذهب الى المستقبل فى بعض العصور القريبة حيث
الرجال لا يزالون نفس الرجال . . ولكن الأسئلة التى
تحررنا فى عصرنا قد حلت ، هل ذهب الى عصر رشد
الجنس البشرى ؟

اقول « رشد الجنس البشرى » لأننى لا أتصور
أن هذه الأيام التى نعيشها بما فيها من تجارب بدائية

ومعرفة غير كاملة ومناقشات حادة هي فعلا أعلى نقطة في تاريخ الانسان ، اننى اعرف ان امله كان ضعيفا في تقدم البشرية ، كان يرى في حضارتنا هذه مجرد بناء متهالك لن يلبث في النهاية ان يسقط فوق رؤوس صانعيه ، ويدمرهم .

اذا كان الأمر كذلك حقا ، فان علينا ان نعيش كما لو لم يكن كذلك ، وبالنسبة لى فانى ارى المستقبل لايزال مظلما ومجهولا ، انه مساحة من الجهول المطلق ليس بها كثير من الضوء . . . ولكن لدى الآن - لراحتى الكبيرة - زهرتين بيضاوين جافتين تشهدان بأنه حتى اذا ذهب العقل والقوة فان الامتنان والحب الرقيق بين الانسان والانسان ، سيبقيان فى قلب الانسان . . !

الفهرس

الصفحة	
٩	المؤلف
١٥	١ - الاستهلال
٢٥	٢ - التجربة
٣٧	٣ - عودة « مسافر الزمن »
٥٣	٤ - عام ٨٠٢٧٠١
٦٧	٥ - الناس الصفار
٧٩	٦ - غروب البشرية
٩١	٧ - ضياع آلة الزمن

- ٨ - « وينسا » الصغيرة ١١١
- ٩ - في العالم السفلى ١٢٩
- ١٠ - ليلة في الغابة ١٤٥
- ١١ - القصر الأخضر ١٥٥
- ١٢ - معركة مع « المورلوك » ١٦٧
- ١٣ - العثور على آلة الزمن ١٨١
- ١٤ - عودة « مسافر » الزمن ١٨٩

■ هـ. ج. ويلز

يعتبر هربرت جورج ويلز، من أوائل الكتاب الإنجليز الذين كتبوا روايات أدبية من «الخيال العلمي».. ومن أشهر رواياته العلمية: «آلة الزمن» التي كتبها عام ١٨٩٥.. و«الرجل الخفي» التي كتبها عام ١٨٩٧.. و«حرب الكواكب» التي كتبها عام ١٨٩٨.

وقد ولد في ٢١ سبتمبر ١٨٦٦، ومات في لندن في ١٣ أغسطس ١٩٤٦.

مكتبة الأسرة



بسعر رمزي جنيه واحد
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع
١٩٩٧

Bibliotheca Alexandrina



0333503

الطبع

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

نم اءاوة الرفع بوا سفة

مكبة عمكر

ask2pdf.blogspot.com